لقاء العدد

محمود شاكر من أكثر الشخصيات الأدبية صعوبة في إجراء الحوارات. فبسبب حدة مزاجه، مررت معه بتجربة مرهقة مما دفعني إلى أن أوسط بعض الشخصيات التي تحظى باحترامه مثل الكاتب الكبير يحيى حقي والفنان التشكيلي صلاح طاهر.. وغيرهما لكي يساعدوني في إقناعه.

ولولا ذلك الإصرار والمحاولات الدءوبة لما كان هذا الحديث الذي أُذيعت مقتطفات قصيرة منه قبل ربع قرن من إذاعة الكويت وينشر كاملاً في الصحافة للمرة الأولى.

□□ الشيخ محمود محمد شاكر:

مدحني الناس بما ليس بي فتوقفت عن البحث الأدبي

حاوره: د. نجم عبدالكريم*

■■ يعتبر بحثك عن المتنبي من أهم الدراسات التي كتبت عن هذا الشاعر العظيم.. فلماذا لم تواصل جهودك في ميدان الدراسات الأدبية؟

● ابدأ بالحديث عن المتنبي، وأدع الحديث - أيضاً - عن المواصلة. وهذا شيء يقره واقع حياتي: عندما صدر هذا الكتاب وتناقله الناس، كتبت عنه كلمات كثيرة، فيها إعجاب شديد وقد كنت في ذلك الوقت في الخامسة أو السادسة والعشرين من عمري.

في هذه السن جاءني ثناء كثير من المهجر الأمريكي، ومن الشام ومن العراق، باختصار جاءني ثناء من كل مكان.. وعندما جمعت الصحف التي كتبت حول موضوع كتابي عن المتنبي وقرأت ما فيها، كنت أراها مبالغة شديدة، ذلك لأني أشتغل بالنقد، نقد الكلمات، وهذا أتاح لي أن أكون معرفة لما تحتوي عليه النفوس.. وخلصت إلى أن هذه المقالات التي كالت لي المديح وجدت أنها ظاهرة لا تعجبني! فهؤلاء الناس كأنهم قد اكتشفوا شيئا جديداً مكتوباً عن المتنبي في حين أنني انتقيت كل ما كتبت من داخل شعر المتنبي، ولم آت بجديد، وقمت بنقد كل ما روي عن المتنبي، وليس فيه ذكر للمصادر. فهذا كل ما فعلت! فلما قرأت الكلمات مع غرابة ما أتيت به من الآراء في تاريخ المتنبي سواء كان ذلك في أمر مولده، أو في أمر نسبته من أي القبائل هو أو في أمر «نبوته» أو في أمر ما انطوت عليه جوانحه من حب لامرأة ذكرتها في هذا الكتاب وهي أخت سيف الدولة.. هذه الأشياء وغيرها قد انفعل بها هؤلاء الكتاب وكتبوا كلاما كثيراً عندما نظرت إليه نظرة تدقيق، وجدت أنه كتب مجردا من كل شعور علمي حقيقي.

ففهمت من هذا، أن هؤلاء هم أصحاب فضل علي، وهم الذين أعطوني هذه الشهرة، ولكنني شعرت فعلا أن هذا النوع من الكلام لا يرضي!

مع أن كتابي عن المتنبي قد طبعت منه ثلاثة

• لاتوجد أمة على ظهر الأرض احترمت العقل كما احترمه العرب

• بدأت في اقتناء آلاف الكتب في مكتبتي منذ أن كان عمري ١١ عاماً

آلاف نسخة ومن المقتطف ثلاثة آلاف أخرى نفدت جميعها، وكان ذلك يعد شيئا عجيباً، لأننا كنا في سنة ١٩٣٦م، أما لماذا لم أواصل البحوث الأدبية فلأنني وجدت الناس يثنون عليّ بغير حق.. ويمنحونني أكثر مما استحق!

■■ مع أن المفترض أن ذلك الثناء على كتابك عن المتنبي كان من الممكن أن يكون عامل تشجيع وتحفيز أكثر للاستمرار في البحث؟

● ربما.. ربما كل الناس يحبون الثناء والإطراء، وأنا أيضاً أحب الثناء ولكني أحبه إذا كان في موضعه، وللثناء مفهوم خاطئ عندنا إذ ينحو أحياناً منحى يكال فيه المديح ببذخ لا أصل له!

الإعجاب والإجماع

■■ عندما يكون هناك إجماع من المهجر ومن المشرق العربي، ومن المغرب العربي أيضاً على كتابك الذي شرحت فيه المتنبي، أظن أن الواجب يحتم عليك أن تأخذ ذلك الثناء كحافز للاستمرار في العطاء!

● نعم حفزني بالتقدم، ولم يحفزني إلى احترام ما أنا فيه، لأني أعلم عيوب ما كتبت أكثر مما يعلمه هؤلاء.

■■ هذه نقطة غامضة؟

● للأسف.. لم أجد كاتبا إلى هذا اليوم قام بنقد هذا الكتاب نقدا صحيحا أو فهم طريقة ما كتبت. فليس هناك من نقد الكتاب كما ينبغي أن ينقد..

نقده الدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي نقدا لا أستطيع أن أعده نقدا في الحقيقة، لأنه لا أصل له. وقد كتبت عن كتاب الدكتور طه حسين في ذلك الوقت لأنه ألف كتابا غير ناضج أيضا وسلك فيه سبيلا قلدني فيه ورددت عليه في (البلاغ) ذلك الوقت بثلاث عشرة مقالة، وبحدود ثلاث وسبعين صفحة، قلت فيها أن كتاب طه حسين محشو بأشياء كثيرة تدل دلالة قاطعة على أن الدكتور طه لم يسلك هذا الطريق الجديد على كتبه في كتاب المتنبي إلا بعد أن

قرأ كتابي.

وما يؤكد ذلك أن كتاب طه حسين صدر في سنة ٣٧ أو ٣٨ بيد أن كتابي صدر في سنة ٣٦. ومع هذا ففي أثناء العيد الألفي للمتنبي الذي اقامته جامعة الدول العربية، أخبرني الدكتور طه حسين مشافهة بثنائه الشديد على كتابي! ولكن كما قلت: أن كل هذا الثناء لايؤثر علي ولا يغير شيئا من قناعاتي، كما أن الثناء لا يغير رأيي في الناس!

وأقولها بأمانة: إنه لم يكتب أحد كلمة أستطيع أن أحترمها بشأن كتابي سوى رجل واحد كتب نقدا لي من وجهة نظره، وهذا النقد يحتوي على شيء من الحقيقة، أما الرجل فهو الأستاذ «الوديع تلحوم».

وقد نشره في **مجلة المقتطف**، ولم أحتفظ بشيء مما كتب عني سوى هذه المقالة أو هذا النقد، بالإضافة إلى مقالة أستاذي الأستاذ مصطفى صادق.

■■ لماذا لم تستمر في كتابة الابحاث الأدبية؟

● لم أستمر لأني في ذلك الوقت كنت صغيرا، لقد كنت في سن السابعة والعشرين، والثناء علي كان كثيرا، وقررت مع ذلك أن أتوقف رغم الجديد الذي لم أكن أعهده في حياتي من الاحترام الذي لقيته من الكثيرين وخاصة صاحب البلاغ عبدالقادر حمزة وغيره من الرجال الذين لقيتهم ووضعوني في مكانة لا أستحقها في ذلك الوقت.. وأقول لك ذلك صادقا، وليس هناك ما يدفعني لمثل هذا القول إذ إنني لست متواضعا كما تعلم.

فطبيعتي كما تراها اليوم أني لا أقبل شيئا لا أستحقه.

معالجة النفس

■■ الذي ألاحظه أنك شديد الكبرياء؟

● بغير كبرياء.. أنا الذي أقوله لك، وكلامي يدل عليه، هو أني غير متواضع، ولكني في نفس الوقت أطلق حقائق. فهناك أشياء لا أستطيع أن أتخلى عنها في هذه الدنيا أبدا! وعلى رأسها حقيقة نفسي، فأنا قضيت حياتي أعالج أثرا يندب في، أعالج أثر الاستعمار في قلبي، في ضميري، في عقلي، في نفسي، في نظري، في رؤيتي.. أعالج أكبر المسائل في داخلي.

شجون «الرسالة»

■■ المثقفون العرب، أحسوا بنوع من الجفاف بعد أن افتقدوا واحدة من أهم المجلات الأدبية، أعني مجلة «الرسالة»، وباعتبارك من كبار المساهمين في تحريرها منذ نشأتها و حتى توقفت.. وقد جرت محاولة لإعادتها أخيراً وصدرت بعض الأعداد ثم توقفت.. فهل لك من تعليق حول هذه القضية؟

● الحديث عن مجلة «**الرسالة**» ذو شجون! فهذه المجلة والتي ترى أعدادها مرصوصة وراءك في مكتبتي فيها أقلام ورجال وتحتوي على مئات الأسماء من فطاحل عالم الأدب، من كل مكان من الشام والعراق واليمن والمغرب العربي والجزيرة العربية.. والغريب بل المعيب أن بعض هؤلاء ممن كتبوا في الرسالة، لم نعد نرى لهم ذكرا، مع أن لبعضهم إبداعات تعد من أمهات عيون الأدب العربي المعاصر.. ومع ذلك فقد خفيت هذه الأسماء، ولم يبق منها إلا عدد قليل محدود، فالأقلام التي اجتمعت من كل مكان في البلاد العربية بعد الثورات المتتابعة والتي كان آخرها سنة ١٩١٩ ـ تلك الثورة الصحيحة الأصل والصحيحة المنبع ـ اجتمعت من جميع البلاد العربية، تلك الأقلام، وكتبت في مجلة «الرسالة» وصار لها تداول أكسبها شهرة ـ أي الأسماء ـ فانتشرت في كل بلد عربي.

ونتيجة لصدق كثير مما كان يكتب فيها كان له تأثير بالغ على كثير من رواد الأدب المحدثين، ولو أن القليل انفصلوا عنها انفصالا كاملا.. ولكن مجلة **الرسالة** ظلت باقية إلى سنة ١٩٥٢ أو ٥٣م في ما أظن.

■■ في أي عام بدأت مجلة «الرسالة» في الصدور؟

● حوالي عام ٣٥ أو ٣٦ في ما أظن، والحقيقة أن الأستاذ الزيات ـ رحمه الله ـ قد أهملها في أواخر أيام حياته لأنه شغل عنها بشؤونه الخاصة، فكان الأمر أن تولى الإشراف على **الرسالة** من لا يصح أن توكل إليه أمور المسألة الفكرية، وهذا خطأ أساسي في تحرير المجلات الأدبية.

لأن المجلة الأدبية ينبغي أن تقوم على صاحب الفكرة، ولما كان الزيات صاحب فكرة وصاحب جهود في الاتصال بكل أديب ومفكر في ذلك الوقت، كان لمجلة **الرسالة** مكانة رفيعة، عندما انفصل الزيات وترك الأمر لغيره، كانت الكارثة!

فكان لابد من موتها! وبالفعل فقد ماتت، ثم أُحييت بطريقة مصطنعة سنة ٦٤ و٦٥ وطلب مني أو طلب مني الأستاذ الزيات أن أكتب فيها، ولكني رفضت، وبعد إلحاح منه، وجدتني أكتب فيها مجرد كتابة ولم أكن كما كنت أيام «**الرسالة**» الأولى إذ كنت أعد نفسي كصاحبها.

ففي ذلك الوقت أعني أيام «**الرسالة**» الأولى كنت أكتب لأنني كنت أعبر عن ذاتي، أما في **الرسالة** المصطنعة فوجدت نفسي ملحقا بالماضي بسبب التزامي مع الأستاذ الزيات، ومعظم كتاباتي الأخيرة فيها لا ترضيني، لأنني كنت منفصلا عن حقيقة هذه المجلة وكنت غير راض عما فيها.

حدود القراءة

■■ لماذا نجد أن معظم المجلات الأدبية لا تعمر في عالمنا العربي؟

● لعدم تعمير المجلات الأدبية في العالم العربي أسباب كثيرة، ولكن لا يصح أن نربط عدم تعمير المجلات الأدبية في بلادنا، وعدم تعمير المجلات الأدبية في البلاد الأخرى!

والسبب في عدم بقاء المجلات الأدبية في بلادنا مرده في الحقيقة إلى أن الجديد الذي يصدر عن المدارس المصرية، والتي تتبعها سائر المدارس في البلاد العربية على اختلاف مابينها من القوة والضعف أن هذه المدارس مازالت مصرة على أن الفكر ليس متأصلا في حياتنا!

والذين يصدرون عن هذه المدارس مايزالون يعدون الأدب أو الفكر ليس أصلا في حياتهم.. لأنهم لا يبدءون بدءا صحيحا، فالقارئ في بلادنا العربية لا يستطيع أن يقرأ إلا في حدود معينة!

■■ تعني الحدود المخصصة له في المراحل

الدراسية؟

● ولذلك لا تستطيع المجلة الأدبية أن تعيش في مثل الحدود التي يطلبها هذا الطالب المتخرج في مدارس ثانوية بل المدارس العالية أيضا.

■■ هذا الكلام يحتاج إلى تفسير أكثر؟

● الحياة الأدبية الصحيحة سوف تدفن دفنا كاملا، فإن هذا الجيل الذي نراه منزوعا من أصوله نزعا كاملا.. الجيل الذي نشأ في السنوات الأخيرة كله منزوع من أصوله نزعا كاملا. وأنه لا بقاء لأمة.. لا بقاء لأمة بغير حصيلتها الماضية! بغير هذا التيار المتدفق من القرون الطويلة.

وأعني بالتيار المتدفق ذلك التيار الفكري واللغوي الذي يعيش به الإنسان.. الإنسان يعيش بلغته.. فهذا الانفصال بين الماضي والحاضر قاطع بأن كل طريق في الحياة الأدبية سوف ينقطع أيضا، ولا أعني بالتيار المتدفق، ذلك التاريخ المزيف عن طريق الآثار أو سواه!

■■ كأنك بذلك تدق ناقوس الخطر؟

● نعم.. لا تستطيع أي أمة أن تعيش بغير تاريخها، والذي يريد أن ينشئ في هذا الزمن أمة أخرى عن طريق التوهم فهو مخطئ، فتأسيس أمة جديدة عن طريق التوهم ضرب من ضروب الخطأ، الأمم بلسانها فقط الأمم بحركاتها الأدبية واللغوية فقط.. أما الأشياء الأخرى من الصناعة إلى كذا، وكذا.. أو الآراء الاجتماعية وما شابه ذلك، فهذه زائلة ومتحولة.. أو يمكن أن تتحول في أي وقت من الأوقات.

ولكن إذا تحول التاريخ، فلا يمكن أن يبقى إنسان على صورة صحيحة في هذه الحياة!

■■ تابع القراء معركتك الضارية مع الدكتور لويس عوض.. فكيف بدأت وكيف انتهت؟

● أولا أنا أنكر عليك توجيه هذا السؤال!

■■ لماذا؟

● لأنني لم أخض معركة، فهذا الشيء الذي كتبته سنة ٦٤ و٦٥م ليس معركة في الحقيقة، وإنما.. (مسترسلا).. إلا إذا عددت حياتي - وهي مسألة سيئة - كلها معركة، وهذا الذي ذكرت اسمه لا وجود له في الحقيقة! وقد ذكرت هذا في مقدمتي في هذه المقالات التي طبعتها، وطبع منها الجزء الأول والجزء الثاني ما زال في المطبعة.. فالرجل الذي ذكرته كتبت رأيي فيه، وأنا أعلم حقائق كثيرة عن هذه الدنيا، ومن هذه الحقائق أن كثيرا من الناس في كل زمان يرون ثم يختفون إلى الأبد! ومع الأسف أحب أن أقول لك: إني أرى الآن بشائرها كالضوء الذي مر، مئات من الأسماء التي تراها اليوم، إذا قدر لنا، إذا قدر لهذه الامة البائسة التي أتوقع ضياعها إذا لم تستيقظ إذا قدر لهذه الأمة أن تستيقظ حقا فلن يذكر أحد من هؤلاء المئات قط.. لم يحترم إنسان في هذه الدنيا عقله إذا ذكر أسماء هؤلاء في التاريخ الأدبي.

وأظنك تعلم أن التاريخ الانجليزي - أعني تاريخ الأدب الإنجليزي وتاريخ الأدب الفرنسي - قد مرت به مثل هذه الفترات، إذ حفل تاريخهم برجال كثيرين في مضمار الأدب، ثم انتهى الأمر بهم أن أصبحوا صفرا ولم يعد هناك من يقرأ لهم كتابا.

المعركة مع لويس عوض

■■ يعني ليست لديهم أعمال تخلدهم؟

● تخلدهم! بل قل إنهم لا يحظون باحترام.. التخليد أمره كثير عليهم.

■■ ليتنا نأتي على القضية بالتدريج كي نقف على الأسباب التي جعلتك تتخذ هذا الموقف من الدكتور لويس عوض؟

● نعم.. الذي دفعني لموقفي هذا أني وجدت شيئا غريبا جدا كنت أراه مفرقا ثم رأيته مجتمعا.. وقد ذكرت ذلك في مقدمتي - أباطيل وأسمار قلت: «كيف تنبهت إلى هذا، فقد انفتحت عيناي على شيء مخيف، وهو أني أرى اكتساحا كاملا مرورا بالزمن للعقل العربي والمصري».. وأنا أذكر مصر هذه المرة، وأقول: أن الخطر آت من مصر، وإني أرى توجيها شديدا لمحق كل شيء يمكن أن يكون له صلة بالحياة الصحيحة للفكر الأدبي في المستقبل.

ومعنى هذا أن هذه المعركة ليست معركة أدبية، إنما هي معركة سياسية بمعنى أنهم يمنعون الأمة مما يجب وينبغي أن تكون عليه وخاصة في مصر.. لأني كما قلت لك أعتقد أن تاريخ الأمم هو تاريخ النفس الإنسانية في تعبيرها عن ذاتها، فإذا محق هذا التعبير الحقيقي الصحيح، فقد انتهت الأمور، فالحرب من هذه الناحية إذن هي حرب الكيان السياسي لا الكيان الأدبي، إنما أنا أعتقد أن هذا الذي ذكرت اسمه في كلامك، لأنه لا يساوي شيئا في التاريخ الأدبي الصحيح ولا فهم له أو إدراك في أي شيء.. وقد شرحت ذلك بوضوح، وأي قارئ محسن يستطيع أن يرى أن هذا لا يحسن أن يقرأ الأشياء التي يقرأها باللغة العربية بل وباللغة الإنجليزية أيضا، لأني بالطبع درست الإنجليزية وأعرفها.. وأنا أعرف أن الذي كتبه هذا الذي أترفع عن ذكر اسمه عن فلان وعن فلان، أعلم أنه كلام سخيف جدا ولا يقبل به أي إنجليزي في الدنيا، وإذا لم تصدقني وجه سؤالك لأستاذ إنجليزي، إذا أجابك بغير ما أقول لك، أكون مخطئا!

■■ أعود مرة أخرى لأؤكد أننا بأمس الحاجة لأن نبدأ بمسك الخيط من بدايته! لنشرح الخلاف بينك وبين الدكتور لويس عوض الذي أراك ترفض أن تأتي على ذكر اسمه؟

■ أحمد حسن الزيات

● أنا لا أريد أن أذكر هذا الاسم لأنه ثقيل علي، وهو ثقيل علي منذ زمن قديم.. وقد ذكرت هذه القصة: فأنا أقرأه منذ كان صغيرا، وأراه وأعرفه وأعرف كيف نشأ وكيف نشأ أستاذه أيضا، وكيف تكون أستاذه، ومن يليه، أعلمهم وأعرفهم جميعا، ولو كنا نعيش في وسط أمة أخرى. لو كانت لنا أمة حقيقية، لفهمت هذه الأشياء، لأن الأمم الأخرى تفهم كيف

■ إبراهيم عبد القادر المازني

تحصن نفسها من سموم هذا وأشباهه! لكننا نحن للأسف لا نريد أن..

■■ هل من الممكن أن نأتي إلى بداية الخلاف مع الدكتور لويس عوض؟

● قل لنأتي على هذا الخطر، ووجود هذا الخطر، لأني أرى أن هذا خطر سياسي، ومقالاتي تدل على هذا.. وإني أرى الناحية السياسية وليس الناحية الأدبية، أما من الجانب الأدبي، فلا شك أن هذا الإنسان الذي ذكرت اسمه لا يستطيع أن يقرأ أبياتا لأبي العلاء ولا يستأنس بأبيات أبي العلاء ولا غير أبي العلاء!! كما أنه لا يستطيع أن يقرأ شعر شاكر السياب على الوجه الصحيح، وهو معاصر له،

كما لايستطيع أن يقرأ كلام الجبرتي عندما قال: «إن النساء الجواري في بيوت المصريين لما جاء الفرنسيس إلى مصر.. يقول الجبرتي: إن هؤلاء الجواري كن يذهبن إلى الفرنسيس برغبتهن في مجرد أنثى بمطلق الأنثى برغبتهن في مطلق الأنثى، فظن أن هذا مطلق الأنثى... إنها مسألة تحرير المرأة.. بكلمة مطلق يعني إطلاق المرأة، أي المطلق الأنثوي، أي إمرأة بتعبير دارج على ألسنة العوام، فقد كتب هذا الكلام وهو لم يفهم ماذا يكتب، وماذا كان يعني الجبرتي وهذا الذي تشير إلى اسمه كتب مثل هذا الكلام في صحفكم المحترمة الوقورة التكنولوجية.

■■ هل اعتراضك على الدكتور لويس عوض لأنه تطرق إلى بعض رجالات العرب ومفكريهم وأشار إلى أن بعض الفلاسفة العرب قد استقوا ثقافاتهم من منابع غير إسلامية؟

● لا.. لا.. هذا سخف أنا لا أريد أن أرد عليه، وكنت سأرد عليه لأوضح هذا الخلط ما بين السم والعسل! وهذا الكلام قيل على لسان من هم أكبر من هذا الذي لا أريد ذكر اسمه، لأنه تابع بسيط مبتذل مبهور في كتب من سبقوه من اليهود وأمثاله.. فمثل هذه الترهات تحتوي على كلام سخيف لا يعتد به.. وكنت سأتناول الرد على مثل هذه الأمور لولا أن حدث ما قطعني عن ذلك! كنت سأتناول أيضا أثر مثل هذه الترهات من الناحية السياسية لأبين كيف يقال مثل هذا الكلام ولم يقال!

أما أن العرب قرءوا كلام الأوائل، فهذا شيء مقطوع به فهذه الأمة من أعظم الأمم، لا توجد أمة أخرى على ظهر الأرض احترمت العقل الإنساني كما احترمه العرب.

رحلة مع الشعر

■■ لنقفز على هذا الموضوع، ولنأت إلى الوقوف على قصتك مع الشعر العربي؟

● كما حدثتك فأنا قرأت أول ما قرأت شعر المتنبي وحده، ومنذ ذلك الوقت أحسست أن حياتي كلها منصرفة إلى الشعر.

■■ والآن؟

● قديما عندما نشأت، فقد كنت في الحادية عشرة وكنت أكتب الشعر بوفرة.

■■ في الحادية عشرة؟

● في الحادية عشرة أو الثانية عشرة!

■■ هل تحفظ شيئا من هذا الشعر؟

● لا أحفظ شيئا منه لأنني مزقته كله! وأنا اليوم لا أنشر شعري.. فبدأت هذا البدء.. وكما تعلم أنه كانت في ذلك الوقت أشياء كبرى.. شوقي، وحافظ، ومطران، والعقاد، والتناقضات الشديدة بينهم.. وبينهم أئمتنا من كبار الشعراء في العالم العربي.. وكنت طفلا، وفي ما بعد نشأت بيني وبين المازني وأحمد شوقي صداقة، وعاشرته دهرا طويلا، وكذلك الأستاذ مصطفى صادق والعقاد، وكنت منصرفا بكل ما في نفسي إلى الشعر ولم أكن أبالي بشيء غير الشعر.

ثم عرض لي وأنا أقرأ الشعر العربي ـ وأنا قرأته كما قلت لك عندما كنت طالبا في القسم العلمي ـ قرأته ـ أي الشعر ـ كما أقرأ أي مسألة رياضية، بمعنى أني بدأت أرى أنه ينبغي أن تسلسل تسلسلا علميا، فبدأت بالشعر الجاهلي شاعرا شاعرا، وهذه الألوف المكدسة من الكتب التي تراها في مكتبتي اشتريتها وبدأت بجمعها منذ أول يوم وأنا في الحادية عشرة أو الثانية عشرة يغلب عليها الشعر العربي، لا ينقصني أي ديوان لأي من الشعراء، ولا ينقصني أي بحث كتب عن الشعر العربي. أبدا.

وقد قرأت الشعر بتصنيف، والذي أذهلني خلال هذه القراءة الشعرية هو تاريخ القصائد.. فظللت أقرأ وأقرأ، ووجدت في نفسي حيرة.. فالكثير مما أقرأه لا أستطيع أن أفهمه فهما صحيحا، ولا أستطيع أن أقتنع أيضا أن هؤلاء الذين يقولون هذا الكلام هم عبارة عن ضرب من البلهاء.

ومع كل هذه القراءات التاريخية، ظل الشعر جزءا هاما في حياتي أتغنى به في داخلي، ولكني لا أستطيع أن أحققه كما ينبغي لكثرة دوافعي إلى طلب المعرفة في وجوه مختلفة من كل فروع المعرفة الإسلامية والعربية، ومع انشغالي في ذلك الوقت بالأدب الإنجليزي وأنا طالب مع الكثير مثل الأستاذ توفيق البكري وزعيم حزب اللواء الأبيض الأستاذ عرفات عبدالله.. كنت في ذلك الوقت أقرأ معهم الشعر الإنجليزي، وكان اهتمامنا بطبيعة الحال نابعاً من اهتمام الأستاذ العقاد والأستاذ محمد السباعي ـ والد الأستاذ يوسف السباعي ـ وكثير غيرهم، وكانت هذه الدوافع.. ولكنني تخليت لاحقا عن هذه الأشياء لأنني وجدت طريقي الذي ينبغي أن أسلك فيه سلوكا صحيحا لتحقيق ذاتي.. فتركت الشعر ولكنني لم أنقطع عنه، فأنا أقول الشعر أحيانا وصلتي بالشعر وثيقة.. ومن أكثر أصدقائي في ذلك الوقت علي محمود طه فقد عمل معي طوال السنين الماضية إلى أن توفي.

وكان من أصدقائي أيضا محمود حسن إسماعيل، وبالطبع أنت تعلم أنه من أعز أصدقائي، وهو يوميا عندي، فأنا أعيش في الشعر.

■■ عرفك الناس كواحد من الجهابذة في مضمار البحث والتنقيب والتصحيح في مجالات التراث واللغة، ولكن مكانك بين الشعراء المعاصرين لم يسلط عليه الضوء الكافي؟

● أنا لا أستطيع أن أحدثك عن الشعر بالمعنى المفهوم له ولا عن آخر قصيدة كتبتها.. ولكنني أقول لك: أن كثيرا من شعري لم أنشره..أما «**القوس العذراء**» فقد نشرتها لإيماني بمدى أهميتها وأهمية أن يقرأها أبناء هذا الجيل.. فهي ليست كلمة عابرة، وإنما لها

قصة بدايتها نثرية وهي تتناول بعض الموضوعات التي تقتضي من قارئها أن يتأملها وأن يقرأها قراءة مركزة وليست سطحية.

ولي قصائد أخرى كنت قد اهتممت بها اهتماما شديدا وهي قصائد طوال أفسر فيها معنى الحياة الإنسانية كما أراها من وجهة نظري، لم أنشرها بعد، ولي قصيدة بعنوان «اعصفي يا رياح» أذكر منها:

وازأري يا رياح في حرم الدهر
زئيرا يزلزل الأعمارا
اعصفي وانسفي كأنك سخرت
خضالا يساور الأقدارا
اعصفي وازأري كأنك غيرى
قذفت حقدها شرارا فطارا
اعصفي كالجنون في عقل صب
هتك الغيض عزمه والوقارا
اعصفي كالشكوك في مهجة الأعمى
تخاطفت حسه حيث سارا
اعصفي كالفناء ينسف الأوكار
نسفا ويصرع الأطيارا
اعصفي كالوفاء صاد به الغدر
فأغضى إغضاءة ثم ثارا
اعصفي كالأسى أفاق من الصبر
فلم يستطع قراراً وفارا
اعصفي وانسفي فما أنت
إلا نعمة تنشئ الخراب اقتدارا
عالم لم يكن ولا الساكنون فيه
غير أشباح نقمة تتبارى

■■ بذلت وتبذل الجهود لنفض الغبار عن كتب التراث، وتقديمها في إطار عصري.. فما هو السبيل للنهوض بهذا المرفق الحضاري التراثي والهام؟

● بقي عدد قليل جداً من الذين يحسنون نشر الكتب القديمة على وجه يعتمد، أما السبيل الأفضل للنهوض بإبراز التراث للمعاصرين.. فإن المسألة تقتضي تعاون الدول العربية والإسلامية في هذا المجال.

أما أولئك الذين يجب أن يضطلعوا بالقيام بهذه المهمة فلابد أن يكونوا من المعروفين بدقتهم، وهم قليل جدا إذ لم يبق من أبناء الجيل الماضي، أعني الجيل الذي سبقنا ممن كانوا ينشرون الكتب التراثية في المطبعة الأميرية وسواها.. أمثال أستاذنا العظيم وهو كتبي يكاد أن يكون أميا أعني أستاذنا أمين الخانجي رحمه الله. وهو من أعظم الرجال الذين رأتهم عيني، مع أنه لم يتعلم قط ولكن كانت له معرفة وثيقة بالكتاب، لم أر أحدا يحب العمل على رواج الكتاب مثل هذا الرجل!

والمعاصرون في مجال الكتب تنقصهم المعرفة أولا وليس في قلوبهم احترام للنص المكتوب، ويبدلون ما يقع تحت أيديهم تبديلا فاحشا.. فهم يتعاملون مع الكتب ليس من منطلق الالتزام الثقافي أو الأخلاقي.. إنما يدخلون هذا المجال من باب الارتزاق، وهذا كل ما في الأمر.

■■ هل هذه الظاهرة تقتصر على صناعة الكتاب فقط؟

● أبدا هي ظاهرة عامة شملت الهندسة والطب ومعظم المجالات الإبداعية في بلادنا مع الأسف.

■■ بمناسبة الحديث عن التراث، بماذا تنصح القراء من الشباب في قراءاتهم التراثية؟

● لا أريد أن أعطي للناس عظة، لأن كل امرئ مسئول.. بين يدي الله تعالى، لايستطيع أن يعتذر عن شيء إذ أن الله جل وتبارك قد أعطاه عقلا، فكان ينبغي بهذا العقل أن يعرف شيئا من الطريق.. ولابد أن يسأل بشكل ما.. كل إنسان لابد أن يسأل.. فأنا لا أريد أن أعطي هؤلاء الشبان عذرا.. لا أريد أن أحمل نفسي المسئولية، ولا أستطيع أن أتخلى عن المسئولية.

أنا نشأت كنشأتهم، والمتنبي نشأ كنشأتهم.

■■ هل تشاهد برامج التليفزيون؟

●● نعم أشاهدها ولكنني أحتقرها احتقارا كبيرا لأنها تستعمل لغة ليست عربية، بل حتى الإعلانات فيها كأن هناك من يتعمد من يختار لها الكلمات السوقية وأحيانا الكلمات الأجنبية!

■■ للأسف؟

● تصور في معظم البلاد العربية تجد أسماء الفنادق الأجنبية.. هيلتون.. شيراتون.. إنتركونتيننتال.. وهلم جرا.. هذا الاحتقار العام أصبح شيئا فشيئا أصيلاً في بلادنا وستنشأ عليه أجيال وأجيال من أبنائه مما يمسح شخصيتنا شيئا فشيئا. ولابد من إعطاء هذا الجيل هذا العذر.. فالمؤسسات التربوية والسياسية هي المسئولة أولا وأخيرا عن هذا الدمار.

■■ من المسئول عن التخلف في مجال اللغة العربية بالدرجة الأولى؟

● هي مسؤولية الأمة بأسرها.. نعم، إن هذه هي مسؤولية أمة ينبغي أن تكافح من أجل بقائها بالحفاظ على تراثها ولغتها.

ويكفي أن نتعلم من اليهود الذين يجزون اليوم أعناقنا أن نتعلم منهم أنهم أنشؤوا لغة من لا شيء! ولتأكيد ذلك اقرؤوا ما قالوه عن الجهود للنهوض بالأدب اليهودي الحديث.. وكيف صنعت هذه الجهود؟

■■ أستاذ شاكر.. لابد من ختام لهذا الموضوع.. وأترك لك الكلمة الأخيرة تتوجه بها لقرائك ومحبيك.. ومريديك..

- أحب أن أقول لكل امرئ، أنه مسؤول أمام هذه الأمة التاريخية العظيمة المسماة بالأمة العربية، مسؤولية حقيقية،.. وأن على كل امرئ أن يبصر طريقه بوضوح قبل أن يفوت الوقت.. فإن الأمم ليست بالصورة التي نتصورها.. الأمم تفنى وتزول، وأنتم ترون بأعينكم أنكم تعاملون في العالم الآن معاملة شاذة جدا في تاريخ البشر، ولا يمكن أن يحدث في التاريخ القديم والمعاصر ما حدث لكم، لقد وصلت الأمور في بلادنا أننا طردنا من بيوتنا وشردنا من أوطاننا وانتهكت كل الحقوق في بلادنا دون أن يتحرك في العالم ضمير إنسان، ودون أن يتحرك حتى الضمير العربي.

واللغة العربية من أشرف اللغات بين لغات العالم، فاللسان هو حياة الأمة لا حياة لأمة بغير لسان! واللسان كالنهر الجارف يجمع كل محصول الأمة وهو كالغيث منهمر آلاف القرون ليتكون منه هذا النهر العظيم.. فإذا انقطع هذا النهر فقد وقعنا في أكبر خيبة.

■■ هوامش:

* عن صحيفة الشرق الأوسط - العدد/ ٥٦٦٣/ الثلاثاء ٣١/٥/١٩٩٤م.

كان محمود محمد شاكر أمة وحده، فهو شيخ العربية، وعاشق العروبة، وحارس التراث، وفارس الأصالة. جمع إلى غيرة المسلم عزة العربي، وإلى شجاعة المحارب طبيعة المسامح، وإلى عقل العالم طيبة الطفل البريء.. غفر الله له ورحمه رحمة واسعة، وأنزله منازل الأبرار والصالحين.

الصقر..

صقر على شم الرعان يحلق
ومداه مغرب شمسها والمشرق
والنجم والأفلاك في تطوافها
والروح في أسرارها والمطلق
نسجته من أرض الجزيرة ريحها
ونخيلها وخيولها والأينق
وجبالها ورمالها وجلالها
وبيانها العذب الشهي المونق
وحراء والآي الزواهر تزدهي
فيه وتهدي العالمين وتعبق
فأتى أبر رجالها وأعزهم
وأحب ما يرجو الفخار ويعشق

●●●

باق عطاؤك في الزمان مفاخراً
كالنيرات زواهراً تتألق
ستظل للفصحى وإن كره العدا
العُلم يروي والصوارم تبرق
أما عِداك ففي غد راياتهم
تطوى كما يطوى الظلام وتمحق
فيقول راوٍ عارَهم وشنارَهم
انْظر إليهم لا بقين ولا بَقُوا

●●●

وهبتك آيات الفصاحة سرها
فإذا بك القلم البديع الشّيق
والضاد أنت نجيُّها ونجيبها
وعليمها وكليمها المتذوق
والحارس الشاكي يصون ذمارها
ويصول إن حمي الوطيس ويهرق
غضباً لها وحمية مبرورة
وجذاه إعصار يطوف ويحرق
فإذا انتصفت لها رجعت مكلّلاً
بالنصر وهو مزغرد ومصفق
ورجعت بالرضوان أنك صنتها
أما الجبين فبالجلال مطوق
وعلى محياك الأبي وضاءة
تسري فيأتلق الحجا والمفرق
والضاد تهديك الثناء متوجاً
والمسك أكرم طيبه والزنبق

●●●

وطويت عمرك عالماً ومعلماً
والعلم أجدر بالذكّي وأليق
أبداً رواقك للمعارف أفيحٌ
وعليه من سمت الجلالة رونق
والطالبون الرّفْد فيه قوافل
ترنو إليك محبة وتُحدِّقُ
يأتون من كل البلاد نفوسُهُم

الدكتور حيدر الغدير

ظمأى ليَسْتَبقوا لَدَيْك ويَسْتَقُوا
فعلى خوانك وهو دانٍ ليّن
حَشْدٌ من النجباء فيه تألقوا
يأتيك من أقصى البلاد مغرِّب
فإذا مضى بالعلم جاء مشرق
وتقيل عثرة مخطئ في أمره
وسلاحك الحلم الجميل الأرفق
ولربما تقسو فأنت: أبوّة
ترضى على أبنائها أو تحنق
بك يدرك الشادون كل عويصة
فتبوح بالسر الخفي وتنطق

●●●

وجعلت دارك موئلاً أَلِفَ النَّدى
للواردين تجمعوا وتفرقوا
(مَعْنٌ) «١» عليه مرحب متهلل
وَفْدٌ يزايلها وآخر يطرق
وذووه قد أَلِفُوا فما يُرْخىَ لهم
ستر ولا باب لديهم يغلق
وضيوفه هذا غني مكثر
وإزاءه عاف مُقلٌ مُمْلق
وعميده إرث السماحة حاتَم
بالمكرمات وقد زهون مخَّلق «٢»
ورث المروءة كابراً عن كابر
وأخو المروءة والحياء مرهَّق «٣»
ومرزَّأ في ماله ومحسَّد
ومبَّرأ ومسدد وموفق
ويصون كل كريمة محمودة
ويخاف مما قد يشين ويفرق
ويقول لا كان التلاد وأهله
إن لم يسودوا بالتلاد ويرتقوا

●●●

ولقد عرفتك في فؤادك حُرْقة
نَّزت جراحاتٌ تفيضُ وتَفْهَقُ
أدمنت حزنك إذ رثيت لأمة
هي منك قلبك في الجوانح يخفق
وجعلت همك أن تكون بشيرها
ونذيرها العريان وهو المشفق
والسيفَ سُلَّ فما يعود لغمده
والحاديَ الهادي يقول ويصدق

وجعلتها عرضاً يصان ويفتدى
بالغاليات الطيبات ويصدق
عاينتها فوجدتها مصروفة
عن رشدها والجهل شر مطبق
فهتفت من قلب يكابر لوعة
والحزن عاصفة ونار تحرق
أبناء إسماعيل«٤» أنتم أمة
في التيه مرهقة الخطى تتمزق
أنتم أسارى الجهل يدعوكم له
لَسِنٌ يقول ومدَّعٍ يتشدق
أو سامريٌّ في الجهالة خابط
يسعى به حقد قديم أزرق
أومستكين قاده مستغرب
أو قاده لضلاله مستشرق
تتراكضون وراءه وشرورُهُ
فيكم أشد من الزعاف وأرهق

●●●

ولقد رحلتَ وفي فؤادك غصة
والعين يغشاها الذهول المرهق
أبصرت أمتك الكريمة قصعةً
وحمىً مباحاً في المذلة يغْرق
عبثت بها أدواؤها وبلاؤها
فيها ومنها غاشيات تطرق
والمسلمون من الهوان كأنهم
دِمَنٌ صواد بالبلى تتمزق
«نتن» يعيث بهم ويعلم أنهم
لن يثأروا مهما رغوا وتشدقوا
يُقْضىَ عليهم غائبين فإن أتوا
لم يغضبوا أو يأنفوا أو ينطقوا

●●●

لا أبا فهر فأمةُ أحمد
ستظل كالشمس المنيرة تشرق
إن الذي حفظ الكتاب وصانه
نوراً يفيض وجدولاً يترقرق
سيظل يحفظها ويعلي شأنها
ويقيل عثرة أمرها ويُوَفّقُ
منها اللياذ به ومنه حفظها
والعهد منه ومنه جلّ الموثق
ألاّ تموت وإن كبت في سيرها
بل تستجيش ومن جديد تخلق
فتعود بالبعث الجديد فتية
كالغاب من بعد اليبوسة تورق
والله واق من يؤوب لأمره
وهو الحفي بمن أتوه الأرفق

●●●

ولقد كتبت قصيدتي بلواعجي
والعهد داع والوداد الأسبق
والعهد أكرمُه القديمُ زمانُه
والوُّد أكرمه الأصيل المعرق
فعَسَاك تمنحها وشاحاً من رضا
وعساك تبصرها بمجدك تخلق
فتعود وهي قلادة وضاءة
تزهو بمانحها رضاه وتعبق

●●●

شعري أبا فهر وحبي دمعة
مهراقة والصدق مني موثق
وعليك تبكي أعين وقصائد
وتطول أحزان وليل يأرق
نم حيث أنت فدار مثلك رحبة
فيحاء والدنيا فِنَاءٌ ضيّقُ

■■ هوامش:

١ - هو معن بن زائدة المشهور بالكرم.
٢ - أي عليه الخلوق، وهو نوع من الطيب.
٣ - كثير الضيوف
٤ - كان الفقيد يقول إذا رأى في أبناء أمته ما يغضبه «أبناء إسماعيل أنتم في التيه» وكأنه يراهم في حاضرهم يكررون تيه بني إسرائيل في ماضيهم.

وداعاً يا عبلة

قصيدة لم تنشر من قبل

للأستاذ محمود محمد شاكر

..ورحل الفارس الأخير

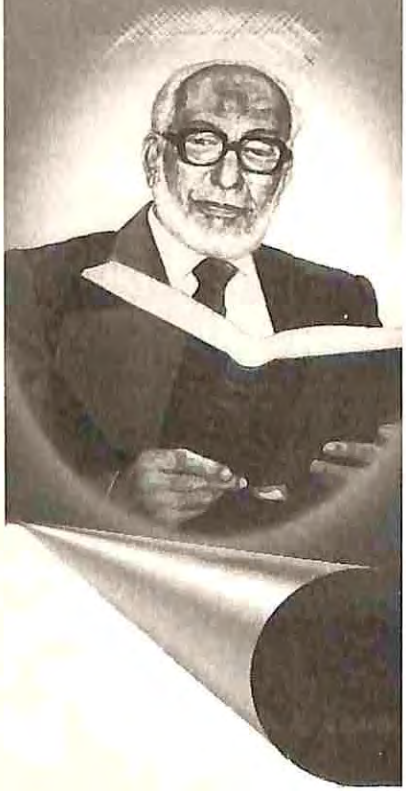

لا تعودي أحرقَ الشكُّ وجودي.. لا تعودي
اذهبي ماشئت أنّى شئت في دنيا الخلود
واتركي النار التي أوقدتها تقضمُ عُودي
هي بردٌ وسلامٌ يتلظّى في برودي!!
.. فاسعدي في شقوة الروح... ولكن لا تعودي

●■●

أنت والأقدار!.. كم قاسيتُ منهنَّ ومنك!
هي تأتي بيقين خائن في إثرِ شَكّ
ثم أنت الشك في إثر يقين لم يخنك
وأنا سائلُك الحيرانُ عنهن وعنك
فأجيبي واذهبي إن شئتِ.. لكن لا تَعُودي

●■●

اللّظَى زادي!! فهل ينفعني زادٌ مميتُ؟
اللّظَي روحُك؟ أم روحي سعيرٌ مستميتُ؟
كلَّما مَرت به النسمة من وجدي حَييتُ
أهي تحييني إذا مرت بناري أم تميتُ؟
خبرّيني، واذهبي إن شئتِ،، لكن لا تعودي

●■●

أنا كالنار تغشاها من الموت رمادُ!
أحديثٌ منك يُحْييني أم الصمتُ المُعادُ؟
أم نسيمُ الحبّ؟ أم هجرُك؟ أم هذا البعادُ؟
أأنا حيٌّ ولا أدري أم الحيُّ الجمادُ؟
خبّريني واذهبي إن شئت.. لكن لاتعودي

●■●

هذه الرّيبةُ في روحيَ من سرّ حياتي

بَعثتْ وجَدْي فدبَّ الشوقُ منها في رُفاتي
فَجَّرتْ أغْمَض ما أخفيتُ في جَوْف صفاتي
فإذا وَرْدُك نجوايَ وأشواكيَ شكاتي
اسمعيها، واذهبي إن شئت.. لكن لا تعودي

●■●

أنت!! ما أنت سوى شكِّيَ في طول حنيني
كلُّ ما فيك من الأوهام حقٌّ في يقيني
المنى والوجدُ والصَّبوةُ نبعٌ من ظنُوني
أنت إيمانيَ، بل كُفريَ بل أنت جُنوني
أنت لا أنت، اذهبي إن شئت.. لكن لا تُعودي

●■●

ماسمائي؟ هي إظلامٌ ورعدٌ وبُروقُ
لا أرى نجمي ولا فيها غروبٌ أو شروقُ
صَخَبٌ يهدمُ بُنْياني، ورعبٌ، وخُفوقُ
ووميضٌ هو في روحي حريقٌ وفتوقُ
اشهدي ثم اذهبي إن شئت.. لكن لا تعودي

●■●

ثم ما أَرْضيَ؟ زلزالٌ، وجدبٌ وصُدوعُ
ظمأٌ يغتالُ آمالي، وأشواقٌ تَلوعُ
هذه الأوهام من حولي أطيافٌ تَروعُ
أينَ؟ لا أينَ.. ضلالٌ بل خداعٌ بل هُلوعُ
أقبلي ثم اذهبي إن شئت.. لكن لا تعودي

●■●

حَيرْتي فيك وفي نفسيَ من طول انتظاري
حَيرْة الذرّة في الرّيح بمجهول القفارِ
تشتكي لليل ما تلقاهُ من شمس النهارِ
لا كؤوسُ الغَيْث تسقيها ولا الموتُ يُواري
اذهبي ثم اذهبي إن شئت.. لكن لا تعودي

●■●

أنا في العزلة لا آنسُ إلا بارتيابي
الأفاعي الصُّمُّ والوحشُ الضواري من صحابي
في دمي تشتفُّ أو تنهش روحي وإهابي
فتعالَيْ، واسألي كيف رأتني..؟ لاتَهابي
اسمعيها، واذهبي إن شئت.. لكن لا تعودي

●■●

كيف لا تأنسُ في الرّيبة بنتُ الظلُمات؟
مُهْجتي.. أُمُّ الخصام المُرِّ مهدُ النَّزواتَ
خُلقَتْ لليأس والبأس وطَيِّ الحسَراتَ
وارتكاب الفرَحَ النَّشوان فوقَ العبراتَ
لا أبالي.. فاذهبي إن شئت.. لكن لا تَعودي

●■●

ما دمائي.. ؟ هي أشواقيَ من جرحي تفيضُ!
شُعَلٌ ذابتْ من اللذات أو وَجْدُ غويضُ
ليتها تبقى كما تبقى الأماني لا تغيضُ
حَبَبَ الشكَّ إلى قلبيَ إيمانٌ بغَيضُ
أنتِ جرحي.. فاذهبي إن شئت.. لكن لا تعودي

●■●

قد صحبتُ اللَّيلَ، والليلُ اكتئابٌ وارتياعُ
ظُلُمات الصمت لا ينفذُ فيهنَّ شُعاعُ
حسرةٌ تطوى على أخرى وَهَمٌّ وضَياعُ
وأحاديث لها في النفس هَدٌّ ونزاعُ
أنْصتي ثم اذهبي إن شئت.. لكن لا تعودي

●■●

قلتُ: يا نجميَ! هذا الليلُ فاسطَعْ وأعنّي
اهْدني.. هذي فلاةٌ ودليلٌ ضلّ عنّي
كلُّ ما أخشاه أو أرجوه قد أفلت منّي
اهدني.. أولا.. لقد ضعتُ، فغبْ يا نجمُ! إنّي
لا أبالي.. فاذهبي إن شئت.. لكن لا تعودي

●■●

أنت يا نجميَ! كالذكرى عذابٌ وارتياحُ
ظَفَرٌ يخبو وقد ضَرم آمالي الطماحُ
لكما في النفس أضواءٌ تُدَمّيها الجراحُ
هكذا السعدُ إذا مالامَهُ نَحْسٌ مُتاحُ
أنتِ نجمي.. فاذهبي إن شئت.. لكن لا تعودي

●■●

ساعةٌ فرَّتْ إلى الذكرى.. إلى غير مآبِ
تتجلّى كالخلود الغضّ في بَرْق الشَّبابِ
سعَّرَتْ للرّاحل المُنْبتِّ هَمّي وطلابي
فَهْي تختالُ لتُضْريني من خلف حجابِ
مزّقيه، واذهبي إن شئت.. لكن لا تعودي

لاتعودي..

●■●

هَلَكَ الماضي..! أما تهلكُ ذكراه فتفنى!!
أهْوَ مالُ الحيّ في دنياه يحويه ليغْنى؟!
أم ثمارُ العمر قد أنضجها الشوقُ لتُجْنى؟!
أم هو الشُّح الذي لَوَّعَ أرواحاً وأضْنى؟
لستُ أدري... فاذهبي إن شئتِ.. لكن لا تعودي

●■●

هذه الساعاتُ تنسابُ كأنْ لم تَكُنِ
هي كالحيات غابَتْ في كهوف الزمنِ
رُقيَةُ الذكرى أطارت حيَّةً من وسَنِ
فأرتْني القَلْبَ نَشْوانَ بِسُمِّ الفتنِ
فتنةَ الماضي! اذهبي إن شئتِ.. لكن لا تعودي

●■●

أهي الجنُّ تجلَّتْ لي أراها وتراني؟
وسوستْ لي الشكَّ في صمتك عني كي أعاني؟
أسمعُ النَّبْأةَ تأتيني بغيب كالبيان؟!
فَهْيَ حَقٌّ ملء أسماعي، وحقٌّ في عياني؟!
أصْدِقيني، واذهبي إن شئتِ.. لكن لا تعودي

●■●

أمنَ الإنس تغارُ الجنّ؟ أم كيف أقولُ؟
أهْيَ منهنَّ التي تَخْتلُ عقلي وتَغولُ؟
هذه الأشباحُ في شكَيَ تبدو وتزولُ؟!
كُلّما آمنتُ.. لاريبَ.. أتى الريبُ يجولُ
فإلى الجنِ.. اذهبي إن شئتِ.. لكن لا تعودي

●■●

ذَكَري تلكَ التي تُخْفي عذابي واحتراقي.
هيَ أدرى منكِ لا شكَّ.. ولكني أُلاقي
اسأليها السِّلْم فالسِّلمُ نجاةٌ من فُواقِ
واذكرا أنيَ على حربكما لستُ ببَاقِ
ذَكِّريها، واذهبي إن شئتِ.. لكن لا تعودي

●■●

لا تعودي أحرقَ الشكُّ وجودي.. لا تعودي
اذهبي ما شئت أنّى شئت في دنيا الخلودِ
واتركي النارَ التي أوقدتها تقضمُ عُودي
هي بردٌ وسلامٌ يتلظَّى في بُرودي
... فاسعَدي في شِقْوةِ الروحِ ولكنْ.. لا تعودي

●■●

أنا.. لاكنت ولا كان قصيدي أو نشيدي
لوعةٌ تملي على الأكوان آلامَ العَبيدِ
أنا في الرقِّ أُغَاني ثَورة الحُرِّ العنيدِ
أتحدَّاك ولكنيّ ذليلٌ في قُيودي
لا تَرِقّي، واذهبي إن شئتِ.. لكن لا تعودي

●■●

نَفَثاتُ السِّحرِ تَنْسابُ الأفاعي في رُقاها
هي بنتُ اللَّيلِ والأوهام لكني أراها
كُلَّما نازعتُها السَيْر رَمتْني في خُطاها
نفثاتُ السحر! ما يفعلُ في روحي صَداها؟
أنْفثيها، واذهبي إن شئتِ.. لكن لا تعودي

●■●

هذه الزهرةُ من نُضْرتها نفحُ الجَمالِ
الشَّذى والحسنُ حُرَّاسٌ على سرّ الجَمالِ
أذْبَلتْها زفرةٌ مني.. ولكنْ لا أبالي
فأنا النّارُ، وكالنارِ ارتْيابي واشتعالي
لا أبالي فاذهبي إن شئتِ.. لكن لا تعودي.

شعر..

قوس الشمّاخ*

١- فحلاها عن ذي الأراكة عامرٌ
أخوا الخُضْرِ، يرمي حيث تكوى النواحزُ
٢- قليل التِّلادِ، غيرَ قوس وأسهم،
كأن الّذي يَرْمِي من الوحشِ، تارزُ
٣- مُطَلا بِزُرق ما يداوَى رميُّها،
وصفراءَ من نبع عليها الجَلائزُ
٤- تَخيَّرها القواسُ منْ فرع ضالة
لها شَذَبٌ منْ دُونها وحواجزُ
٥- نَمَتْ في مكان كنَّها، فاستوَتْ به،
فما دونها من غَيْلها مَتَلاحزُ
٦- فما زالَ ينجو كُلَّ رَطْب ويابس
ويَنْغَلُّ حتى نالها وهو بارزُ
٧- فأنحى عليها ذاتَ حدٍّ، غَرابُها
عدو لأوساط العضاه مُشارزُ
٨- فلما اطمأنَّتْ في يديه.. رأى غَنىً
أحاطَ به، وازورَّ عمَّنْ يحاوزُ
٩- فمظَّعها عامينِ ماءَ لحائها،
ويَنظرُ منها: أيَّها هو غامزُ
١٠- أقام الثقافُ والطريدةُ درْأها،
كما قوَّمَتْ ضغْنَ الشَّمُوسِ المهامزُ
١١- وذاقَ.. فأعطتْه من اللينِ جانبا
كَفى - وَلَهَا أن يُغْرِق السهمَ حاجزُ
١٢- إذا أنبضَ الرامونَ عنها، ترنَّمَتْ
ترنُّمَ ثَكْلى أوجعتها الجنائزُ
١٣- هَتوفٌ.. إذا ما خالط الظبيَ سهمُها!
وإن ريْعَ منها أسلمتهُ النواقزُ
١٤- كَأنَّ عليها زعفرانا تُميْرَهُ
خوازنُ عَطَّار يَمانٍ كوانزُ
١٥- إذا سقط الأنداءُ، صيْنَتْ وأُشْعرتْ
حَبيرا، ولم تُدْرجْ عليها المعاوزُ
١٦- فوافى بها أهلَ المواسم، فانبرى
لها بَيِّعٌ يُغْلي بها السَّوْمَ رائزُ

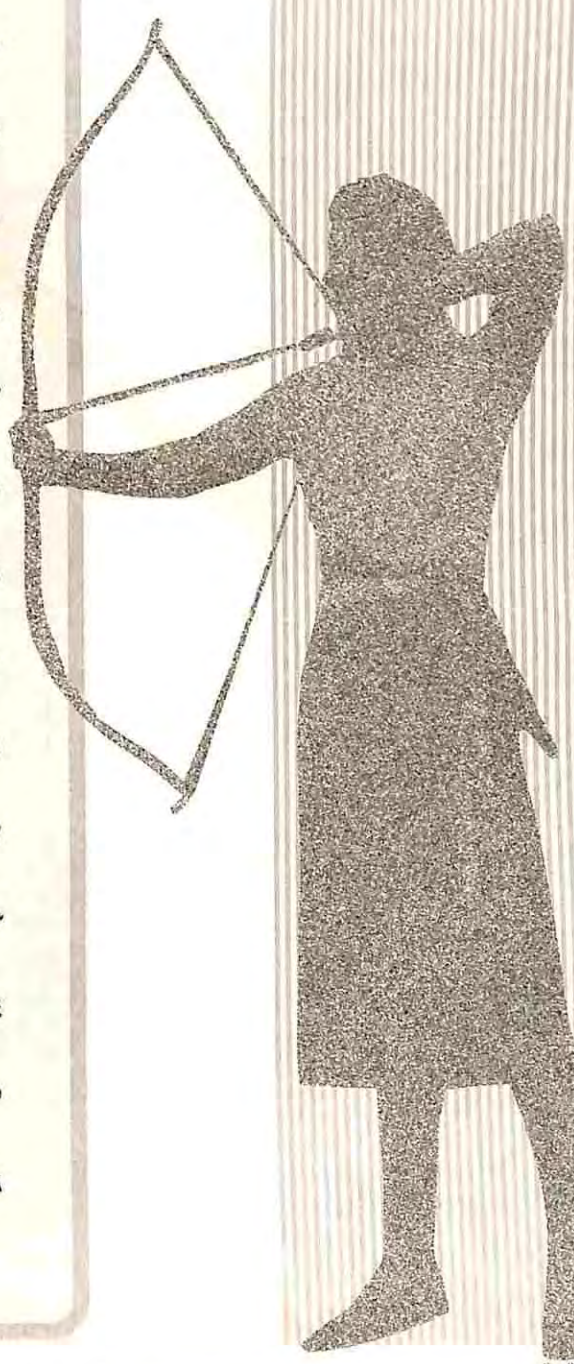

* الأبيات التي استوحاها الأستاذ محمود محمد شاكر في « **القوس العذراء**».. وهي للصحابي الجليل الشَمّاخ بن ضرار الذبياني، شهد القادسية وتوفي سنة ٢٢ للهجرة في معركة موقان.

١٧ـ فقال لهُ : هَلْ تشتريها؟! فإنها
تُبـاعُ بما بِيْعَ التِّلادُ الحرائزُ!

١٨ـ فقال : إزارٌ شَرْعبيٌّ، وأربَعٌ
من السِّيراءِ، أو أواقٍ نواجزُ

١٩ـ ثمانٍ من الكوريِّ، خُمْرٌ، كأنها
من الجَمْرِ ما أذكى على النار خابزُ

٢٠ـ وبُرْدان من خال، وتسعون درهما،
على ذاك مَقْروظٌ من الجِلْدِ ماعزُ

٢١ـ فظلَّ يُناجي نفسهُ وأميرَها
أيَأْتي الذي يُعْطَى بها أم يجاوزُ

٢٢ـ فقالوا له : بايعْ أخاك.. ولا يُكُن
لكَ اليومَ عَنْ ربْحٍ من البيْعِ لاهزُ

٢٣ـ فلما شَراها فاضت العَيْنَ عَبْرَةً
وفي الصدرِ حزازٌ من الوجدِ حامزُ

الهوامش

(١) حلأها : طردها عن الماء ومنعها، والضمير لحمر الوحش.

وذو الأراكة : موضع ماء. والخضر : قبيلة منها عامر الخضري الرامي، معمر، ذكره امرؤ القيس في شعره. والنواحز (جمع ناحز) : داء يصيب الحيوان في رئته فيسعل منه، فيكوى جنبه فيشفى.

(٢) التلاد : المال القديم الموروث. تارز : الذي يبس في مكانه ومات.

(٣) الزرق : السهام في شدة بياضها. والرميُّ : المرميُّ . والنبع : شجرة تتخذ منه القسي، أصفر. والجلائز عصب يلوى على القوس ليشدها من غير عيب بها.

(٤) الضال : شجر تتخذ منه السهام كالنبع، أصفر، طيب الرائحة.

الشذب : الأغصان المتفرقة المتهدلة من الشجرة.

(٥) كنها : سترها في كن. والغيل: الشجر الملتف، ويسكنه الأسد ويحميه. وشجر متلاحز: متضايق دخل بعضه في بعض.

(٦) ينجو : يقطع ما يؤذي. ينغل : يدخل في شيء متلاحم على مشقة. بارز : ظاهر للشمس.

(٧) أنحى عليها : قصد وأقبل يقطعها. وغراب الفأس: حدها المرهف. والعضاه: شجر عظيم ذو شوك. مشارز: شرس سيئ الخلق.

(٨) أزور : مال وأعرض. من يحاوز: من يخالطه من أصحابه الذين في حوزته.

(٩) مظعها : وضعها في الشمس لتشرب ماء لحائها. واللحاء : قشر العود. وغمز العود : جسه، لكي ينظر أين يلينه ويقيمه.

(١٠) الثقاف : خشبة في طرفها خرق يتسع للقوس، فتدخل فيها وتغمز حتى تسوى. والطريدة : قصبة مجوفة خشنة الحواف تدخل في القوس لتبري قشرتها. الدرء: العوج. والشموس: الفرس العصية الجموح. والمهامز (جمع مهماز) : تنخس به الدواب لتستقيم. وتقويم ضغنها : تأديبها حتى يلين قيادها.

(١١) ذاق : جذبها ليختبر شدتها أو لينها. كفى : أي كاف لا يزيد عن الحاجة. يغرق السهم : أي يستوفي جذبها فيلين، فربما قطع السهم يد الرامي. يقول : لها حاجز من القوة والصلابة يمنع لينها أن يبلغ به الرامي إلى إغراق السهم.

(١٢) أنبض القوس : جذب وترها، فإذا أطلقه نبض ورن. الثكلى: التي مات ولدها. والجنائز (جمع جنازة) : وهو الميت نفسه هنا.

(١٣) هتوف : لها صوت عال. وحذف جواب «إذا» كأنه معلوم لا شك فيه، أي إذا أصابه السهم مات على المكان. ربع: ذعر. وأسلمته : خذلته ولم تحمله. والنواقز. قوائمه التي ينقز بها، أي يقفز.

(١٤) الزعفران: من الطيب، أصفر، من زينة النساء ولا سيما في العرس. تميره : تصب فيه الماء لتذيبه. والخوازن : النساء التي تخزنه. والكوانز : التي تكنزه في وعاء، وأهل اليمن مشهورون ببيع العطر وصناعته.

(١٥) الأنداء (جمع ندى) : وهو بلل الصباح. أشعرت : ألبست. والحبير : ثوب موشى من الحرير الناعم. والمعاوز: الثياب الخلقة يلبسها المساكين. لم تدرج : لم تطو عليها، بل تصان بالحرير.

(١٦) أهل المواسم : مجامع الناس في زمن الحج. بيع : مشتر يحسن البيع والشراء. والسوم: المساومة. رائز : مختبر لشدتها ونقلها.

(١٧) التلاد: المال القديم الموروث. الحرائز: التي تحرز ولا تباع لنفاستها.

(١٨) الشرعب : من أجود الثياب وأغلاها. والسيراء : ثياب مخططة نفيسة. أو أواق : «أو» بمعنى واو العطف هنا. والأواقي (جمع أوقية) وهي من الموازين. نواجز : حاضرة غير مؤجلة.

(١٩) ثمان : يعني ثماني أواق من الذهب. والكوري : منسوب إلى كور الصائغ الذي توقد فيه النار، يعني ذهبا مصوغا. والخابز: صانع الخبز على النار.

(٢٠) بردان : تثنية برد. والخال : موضع تصنع به الثياب النفيسة الرقيقة. على ذاك : أي مع ذاك. والمقروظ : المدبوغ بالقرظ : والماعز : جلد المعزى، وهو من أجودها.

(٢١) أميرها : الذي يؤامره ويشاوره. يجاوز : يتركه ويمضي.

(٢٢) لاهز : دافع مانع.

(٢٣) شراها : باعها. وحزاز: قاطع يحز حزا شديدا. والوجد : أشد الحب وأحره. وحامز : ممض محرق.

القوس العذراء

محمود محمد شاكر

□□□

إلى صديقٍ لا تَبْلى مودَّتُه:

أمّا بَعْدُ، فإني لم أكنْ أتوقَّعُ يومئذ أن ألقاكَ. وإذا كُنتَ قد أُوتيتَ حياء يغلُبك عند البغْتَة على لسانك، حتى يُعوزَك(١) ما تقول، فقد أُوتيت أنا ضَرباً ثَرثاراً من الحياء، يُطْلق لساني أحياناً عند البَغْتَة، بما لا أُحبُّ أن أقول، وبما لا أدري كيف جاء، ولم قيل! كنت خليقا يومئذ أن أقول غير ما قلت، ولكني وجدت شيئا منك يَنْسَرِبُ(٢) في نفسي فيُثيرها، حتى يدورَ حديثي كُلُّه على إتقان الأعمال التي يُتَاح للمرء أن يزاولهَا ـ في لمحة خاطفة من الدهر، نُسميها نحن الناسَ : العُمُر!!

ياله من غُرُور! بيدَ أنّ هذا الحديثَ أَبَى إلا أن ينقلبَ عائداً معيَ في الطريق، يُسايرني، ويُصاحبني، ويُؤنس وَحْشتي، ويُسرُّ إليَّ بوَسْوسة خفية من أحاديثه التي لا تتشابَه، والتي لا تَتَناهى والتي هي أيضا لا تُمَلُّ. وإذا كانتْ ثرثرةُ حيائي قد صَكّت مَسامعك ببعض عُنفي وصَرَامتي، فعَسى أن يبعثَ في نفسك بعضَ الرضى، ما أرْويه لك من بقايا تلك الأحاديث التي رافقتني منذُ فارقتكَ إلى أن استقرت بي الدارُ، ثم طارت عني إلى حيثُ يطير كُلُّ فِكْرٍ، وغابتْ حيثُ يغيب!

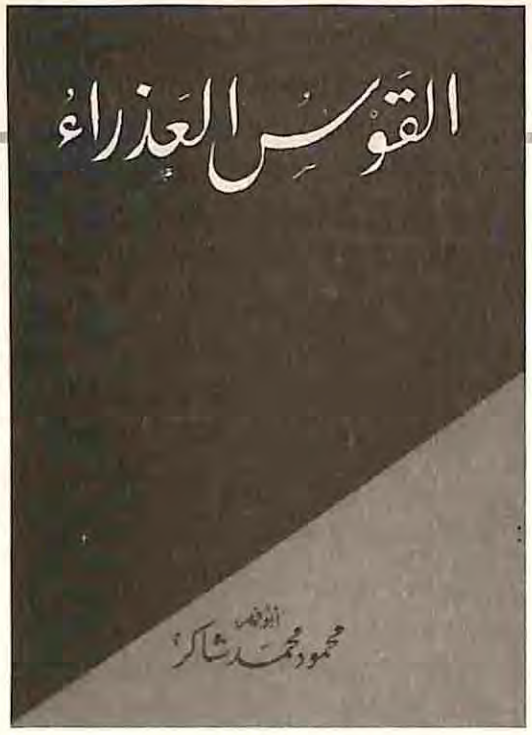

●●●

الإنسانُ خَلقٌ عجيبٌ!! كلّ حَيٍّ، بل كُلّ شيء مخلوق، يسير على نَهْج(٣) لاَحب لا يختلّ، يُؤَيِّده هَدْيٌ صادق لا يتبدّل. ومهما تباينَتْ مسالكُهُ في حياته، وتنوّعت أعمالُه في حياطة مَعيشته، فالنهجُ في كل دَرب من دُروبها هُوَ هُوَ لاَ يتغَيروالَهَدْي في كل شأن من شؤونها هو هو لا يتخلّفُ(٤).

تُولد الذَّرَّة(٥) من النَّمال، وتنمو، وتبدأ سيرتها في الحياة، وتعمل فيها عملَها الجدَّ، وتَفرغ من حَقّ وجُودها، ثم تقضي نَحبَها(٦) وتموت. هكذا مُذْ كانت الأرضُ وكانت النَّمال : لا تتحوّل عن نَهج، ولا تَمْرقُ(٧) من هَدْي. وتاريخ أحدثها ميلاداً في مَعْمَعة الحياة، كتاريخ أعرقِ أسلافها هَلاَكاً في حَومة الفَنَاء. لا هي تُحدث (٨) لنفسها نَهجاً لم يكنْ، ولا هي تبتدعُ لوارثها هَدْيا لم يتقدَّمْ.

فسَلْ كل حيٍّ : كيف تعملُ؟ ولمَ تعملُ؟ ومَن الذي علَّمَكَ وهَدَاك؟ ومَن الإمامُ الذي سَنَّ لك الطريقَ(٩)؟ وبأيّ عبقريّة يأتي إبداعُك؟ ولمَ كان عملُك نَسَقاً(١٠) مُنْقادًا لا يتغير؟ وكيف كَانتْ مهارتُك تُراثاً(١١) مُؤَبَّدًا لا يتبدل؟ وحذْقُك طَبْعاً راسخاً لا يتحوّل؟ ولم صارتْ سُنّة(١٢) الأوائل منكم لزَاماً على الأواخر؟ ومنهاج(١٣) الغابرين شَرَكاً للوارثين! بل كيف أخطأ الآخرُ منكُمْ أن يَسْتدرك علَى الأوّل؟ والخَلفُ أن يُنَافس صَنعةَ السَّلَف؟ وعَجَباً إذنْ! كيف صارَ كُلّ عمل تَعْمَله مُتْقناً، وأنت لم تَجْهَدْ في إتقانه؟ وأنى بلغتَ فيه الغاية، وأنت مسلوبٌ كلّ تدبير ومَشيئة؟ وما أنتَ وعملُك؟ أتحبُّه وتألفُه؟ أم تَشْنَؤُه(١٤) وتسأمُه؟ أتُخامرُك نَشْوة الإعجاب؟ أبدعتَ فيه؟ أم تنتابُك لَوْعة الحُزْن إذ أصابه ما يُتْلفُه أويؤْذيه؟ ألم تسألْ نفسكَ قطُّ : فيمَ أعملُ؟ ولمَ خُلقت؟ وفيمَ أعيشُ؟

وأنا على يقين من أنّك لن تسمعَ جواباً إلا الصَّمْتَ المُستنكرَ، والذُّهولَ المُعرضَ، والصمَمَ المُسْتَخفَّ الذي لا يَعْبأ.

●●●

إلاّ الإنْسانُ!! إلاّ الإنْسان!!

ليتَ شعْري كيف كَانَ مَدْرَجُ(١٥) أوّله على أمّه الأرض؟ وأيُّ هَدْيٍ كان لَفَرطه في مَطْلَع الفجْر؟

إنّه ككلّ حيّ، لم يُخْلَق سُدًى(١٦) ولم يُتْرك هَمَلاً. سلَك له ربُّه النَّهْجَ الأوّل(١٧) حتى يتكاثر، وآتاهُ الهدْيَ القديمَ حتّى يَسْتَحْكمَ، وسدَّد يَدَيْه حتى يشتدّ، وأنارَ بَصيرتَه حتى يَسْتَكمل، وأنْبطَ(١٨) فيه ذخائر الفطْرة حتى يَسْتبحر، وفَجَّرَ فيه سَرائرَ الإتقان حتى يَسُودَ ويتملَّك، وعلّمه البَيانَ حتى يَسْتَفْهمَ، وكرَّمه بالفَتْح حتى يَتَغلَّب.

فلَما ثَبَتَ عليها وتأيَّد(١٩)، وتأَّل فيها وعَمَر، نَظَرَ إلى معروفها فاعتَبَر، وهجَم على مَجهولها فاستنكَرَ، فكأنَّهُ من يومئذ حادَ(٢٠) عن النهج الذي لا يختلّ، ومَرَق من الهَدْي الذي لا يتبدّل.

ابتُلِيَ من يومئذ فتَمرَّس(٢١)، وأُسلم لمَشيئته فتحيَّر. جارَ وعَدَل، فعَرف وجرَّبَ. أخطأ وأصاب، ففكّر وتدبر. نزع(٢٢) إلى النهج الأوّل، فأخفَق وأدرك. تاق إلى الهدي القديم، فأعْطي وحُرم. احتَفر(٢٣) ذخائر الفطرة، فأكْدَت عليه تَارَةً ونَبَعْت. التَمس شواردَ الإتقان، فندَّتْ(٢٤) عليه مرَّةً واستقادتْ. وإذا كلُّ صُنْع يتقاضاه حَقُّ إحسانه، وكلّ عمل يَحنُّ به إلى قرارة إتْقانه. فعندئذ حاكَ الشكُّ في صدْرِ اللاحق، حتى قَدَحَ في تمام صُنْع السَّابق، فاسْتدرك عليه. وقلقَ الوارثُ، حتى خاف تقصيرَ الذاهب، فاستنكفَ الإذعانَ إليه. فكذلك جاشتْ نفسُه(٢٥)، حتى اندفقت صُبابةٌ منها فيما يعمل، وتَضَرَّمَ قلبُه، حتى ترك ميسَمه(٢٦) فيما أنشأ فتَدلَّهَ بصُنْع يديْه، لأنّه استودعه طَائفة من نفسه، وفُتن بما استَجَاد(٢٧) منه، لأنه أفْنَى

فيه ضراماً من قلبه. وإذا هو يَسْتَخِفُّهُ الزَّهْوُ(٢٨) بما حَازَ منه ومَلَك، ويُضنيه الأسَى عليه إذا ضاع أوْ هلك.

هذا هُوَ الإنسانُ وعملُه. فإذا دبَّت بينهما جَفْوة تَخْتل(٢٩) النَّفس حتى تَمَلّ وتَسْأم، أوْ عَدتْ اليهما(٣٠) نَبْوة تُراودُ القلبَ حتى يَميل ويُعرضَ، انطمستْ عندئذ أعلامُ(٣١) النهج الأوّل، وركدتْ بَوارقُ (٣٢) الهدْيِ المُتقادم، وبقي الإنسانُ وحيداً مُلوماً محسوراً لا يزال يسأل نفسه: فيمَ أعملُ؟ ولم خُلقت؟ وفيمَ أعيش؟ فما يكون جوابُه إلاّ حَيْرةً لا تَهْدأ، ولَهيباً لا يَطفأ، وظَلاماً لا يَنْقشع.

●●●

بل حَسْبي وحسْبك. فلقد خشيتُ أن تقول لي: إنّما أنتَ تحدّثني عن الفنّ، ـ فهذه صفة أهله ـ لا عن العمل، فليس هذا من نَعْته! وكأنّي بك قد قلتَ: إنّ الفنّ تَرَفٌ مُسْتَحْدَثٌ، أما العمل فَشقاء مُتقادم. هذا مَما تَعجّله الإنسانُ وعاناهُ لقَضاء حاجته، وذاك مّما تَأنّى فيه وصافاه(٣٣) للاستمتاع بلذّته. والإنسان إذا جوَّدَ العمل، فمُنْتهَى همّه أن يجعلَه على قضاء مآربه أعْوَنَ، أو يكونَ له في أسباب معيشته أنجح وأربح. أمّا الفنّ، فثَمرة لغَير شجرته، يَسْقيها متأنّق(٣٤) من ينابيعَ ثرّة في وُجْدانه، وينْضجُها مشغوفٌ بلاعج منْ وَجْده وافتتانه، في غير مَخافة مَرْهوبة، ولا مَنْفعة مَجْلوبة، فذاك إذَن بطبيعته مستهلكٌ مُمتهن(٣٥)، وهذا لحرمة نَشْأته مَذْخورٌ(٣٦) مُكرّم.

وأقول : بل أنت تحدّثني عن الإنْسان وقد فَسَق (٣٧) عن تلاد فطْرته، واستَغْواه(٣٨) الشُحّ حتى انْسلخ من ركازَ جبلّته. غَرَّهُ ما أُوتيَ من التدبير، فاقتحم على غَيْب مُدبَّر، يَعْتسفُه بسَفاهة جُرأته. واستخفّه ما أُعين به من المَشيئة، فهجَم على خَير مبذول، يستكثر منه بضَراوة(٣٩) نَهْمته. فانْبَتَّ منْ يومئذ في فَلاة مَطْموسة بلا دَليل، يَظلُّ يكدح فيها كدْحًا حتى يُنادَى للرَّحيل!

جَاء مُيسَّراً لشيء خُلقَ له، فظلمه حقّه حتى عَضل(٤٠) بأمره فتعسَّر، وهُديَ مسددًا إلى غاية، فغَفل عنها حتى تبدّد خَطوه واختلّ. ولو دانَ الإنسانُ بالطاعة لفطْرته المكنونة فيه منذُ وُلد، لأفْضى إلى خَبْئها(٤١) التَّليدَ إذا ما استْوىَ نَبْتُه واستحصَد. ولصارَ كلّ عمل يَعْتَملُه(٤٢)، تدريبا لما استْعصى منه حتَّى يلينَ ويَنْقادَ، وتهذيباً لما تراكم فيه حتى يَرفَّ(٤٣) ويتوهَّج. فإذا دَرب عليه وصَبَر، أزال الثرى عن نَبْع مُنْبثق، فإذا ألحّ ولم يَملّ، انشقّت فطرتُه عن فَيْض متدفّق. ويومئذ يُسْفر(٤٤) لعينيه مَدَبُّ النَّهج الأوّل، بعد دُرُوسه وعفائه، ويستشْري في بَصيرته ومَيضُ الهَدْي المتقادم، بعد ركْدته وخفائه. وإذا كلّ عمل يَفْصم عنْه مُتْقنًا، وكأنّه لم يجْهد في إتْقانه، وإذا هو مُشْرفٌ فيه على الغاية، وكأنه مسلوبٌ كلّ تدبير ومَشيئة، ولكنّه لايفْصمُ عنه حين يفصم، إلاّ مطْويًا على حُشاشة(٤٥) من سرّ نَفْسه وحياته، موسوماً بلوْعة مُتَضرمةً على صَبْوة(٤٦) فنيتْ في عشرته ومُعاناته.

فالعملُ كما تَرَى، هو في إرث(٤٧) طَبيعته فنٌّ مُتمكّن، والإنسانُ بَسليقة(٤٨) فطْرته فنّان مُعْرقٌ.

●●●

وإنّي لمُحدّثك الآنَ عن رجُل من عُرض البشَر(٤٩)، يَتَعيش بكدّ يديْه، صابرَ(٥٠) الفاقة عامَيْن، يعمَل عملاً يُفْلتُ نَفَسًا من الغنى إليه، أغواهُ ثَراء يَبْهرهُ، فما كاد يُسْلمه للبَيْع حتى بكَى عليه.

لم أعْرفُه، ولكن حدّثني عنه رجُلٌ مثْلُه عَمَلُه البَيان، ذاك فطْرتُه في يَدَيه، وهذا فطْرتُه في اللّسان.

●●●

هذا عامرٌ أخو الخُضْر : توجّستْ(٥١) به الوحْشُ من عرْفانها شدّةَ نقْمته، جاءتْ ظامئة في بَيْضة الصيف(٥٢)، فَراعها مَجْثمهُ في قُتْرته. قليلُ التّلاد، غيرَ قوس أو أسْهُم، خفيّ المهاد، غير مُقْلة تتضرّم. تبيّنتْ لمْح عَيْنيه، فانقلبتْ عن شَريعة الماء هاربة، ذكرت نكاية مَرْماهُ، فآثرت ميتةَ الظّمأ على فتْكة الأسْهُم الصائبة.

وما عامرٌ وقَوْسه؟!

١ ـ فَدَعِ الشَّمّاخَ يُنْبِئُكَ عن قُواسها البَائس في حَيْثُ أتاهَا:
٢ ـ أيْن كانتْ في ضَمير الغَيْب منْ غَيل(٥٣) نَماهَا؟
٣ ـ كَيْف شقّتْ عينُهُ الحجْبَ إليْها، فاجْتَباهَا(٥٤)؟
٤ ـ كَيْفَ يَنْغَلُ(٥٥) إلَيْها في حَشا عيص وقاهَا؟
٥ ـ كَيْفَ أنحى(٥٦) نَحْوَها مَبْراتَهُ، حتى اخْتَلاهَا؟
٦ ـ كَيْفَ قَرّتْ في يديه، واطْمأنّتْ لفَتَاهَا؟
٧ ـ كَيْفَ يَسْتَودعُها الشَّمْسَ عَامَيْن.. تَرَاهُ وَيَرَاهَا؟
٨ ـ كَيْفَ ذاقَ البُؤْس.. حتى شَربتْ ماءَ لحَاها(٥٧)؟
٩ ـ كَيْفَ نَاجَتْهُ.. وَنَاجَاها.. فَلاَنَتْ.. فَلوَاهَا؟
١٠ ـ كَيْفَ سَوّاهَا.. وَسَوّاهَا.. وَسَوّاهَا فَقَامَتْ.. فَقَضَاهَا؟
١١ ـ كَيْفَ أعطَتْهُ منَ اللّين، إذا ذاقَ(٥٨)، هَوَاهَا؟

القوس العذراء

١٢ ـ أيُّ ثَكْلَى أَعَـولَتْ إذْ فَـارَقَ السَّـهْمُ حَـشَـاهَا؟
١٣ ـ كَـيْفَ يُرْضِـيـه شَـجَـاهَا؟ كَـيْفَ يُصْـغِي لبُكَاهَا؟
١٤ ـ كَـيْفَ رِيعَ الوَحْشُ مـن هَاتـف سَـهْـم إذْ رَمَـاهَا؟
١٥ ـ كَـيْفَ يَخْشَى طَارِقَـاً، فِي لَيْلة يَهْـمِي(٥٩) نَدَاهَا؟
١٦ ـ كَـيْفَ رَدَّاهَا(٦٠) حَـرِيرَ البَـزِّ حِـرْصَـاً وَكَـسَـاهَا؟
١٧ ـ كَـيْفَ هَزَّتْـهُ فَـتَـاهَا؟ وَتَـعَـالَى وَتَبَـاهى؟
١٨ ـ كَـيْفَ وَافَى مَـوْسَـمَ الحج بِـهَـا؟.. مَـاذَا دَهَـاهَا؟
١٩ ـ أيُّ عَـيْن لَمَـحَتْ سِرَّهُمَـا المُضْـمَـرَ؟.. بَلْ كَـيْفَ رَآهَا؟
٢٠ ـ انبَـرَى كَـالصَّـقْـر يَنْقَضُّ إلَيـهَـا.. فَـأَتَـاهَا!!
٢١ ـ مَـسَّـهَـا ذُو لَهْـفَـة تَـخْـفِي... وَإنْ جَـازَتْ مَـدَاهَا
٢٢ ـ قَـالَ: سُـبْـحَـانَ الـذي سَـوَّى!! وَأَفْـدِي مَـنْ بَرَاهَا
٢٣ ـ أَنْـتَ..!! بِعْـنِـيـهَـا..
ـ نَعَمْ إن شئْتَ!! [تَـعْسَا وَسَـفَاهَا](٦١)
٢٤ ـ قَـالَ : بِالتِّـبْـرِ.. وَبِالـفِـضَـة، بِالخِـزِّ.. وَمَـا شِـئْتَ سِـوَاهَا
٢٥ ـ بِثِـيَـاب الخَـال(٦٢).. بِالعَـصْبِ المُوَشَّى.. أتَـرَاهَا؟
٢٦ ـ وَأَدِيم(٦٣) المَاعِـزِ المَقْـرُوظ.. أرْبَى مَـنْ شَـرَاهَا!
٢٧ ـ [كَيْفَ قَـالَ الشَّيخُ؟!.. كَلاَّ! إنَّهَا بِعْـضِي وَالمَالُ؟. بَل المالُ فَدَاهَا
٢٨ ـ إنَّها الـفاقةُ والبُـؤسُ!!.. نَعَمْ!.. هذا غَنًى!!.. كَـلاَّ وشَاهَا (٦٤)
٢٩ ـ بَلْ كَـفَـاني فَـاقَـةٌ.. لاَ!.. كَـيْفَ أَنْـسَـاهَا؟.. وَأَنَّى؟! وَهَوَاهَا]
٣٠ ـ لَمْ يَكَـدْ.. حَـتَّى رَأى نَـاسَـا، وَهَمْـسَـاً، وَشِـفَـاهَا:
٣١ ـ بَايِع الشَّـيْخَ! أَخَـاكَ الشَّـيْخَ!.. قَـدْ نلتَ رِضَـاهَا!!
٣٢ ـ إنَّهُ رِبْـحٌ..! فَـلاَ يُفلتْكَ!.. أعطَى، واشْـتَـرَاهَا(٦٥)!
٣٣ ـ وَرَأَى كَـفَّـيـه صِـفْـراً، وَرَأى المَالَ... فَـتَـاهَا(٦٦)
٣٤ ـ لَمْـحَـةً...، ثُمَّ تَـجَلَّى الشَّكُ عَنْهُ...، فَـبَكَاهَا!
٣٥ ـ وَرَثَـاها بِدُمُـوع، وَيحَـهُ! كَـيْـفَ رَثَاهَا؟!
٣٦ ـ فَـتَـوَلَّى.. وَسَـعِـيـرَ النَّـارِ يُخْـفِي وَلَظَاهَا!
٣٧ ـ حَـسْـرَةٌ تُطْوَى عَلَى أُخْـرَى.. فَـأَغْـضَى... وَطَوَاهَا!

●●●

فاسمعْ إذنْ صَدَى صوت الشمَّاخ:

٣٨ ـ تَجَـاوبُ عَنْهُ كُـهُـوفُ القُـرُون، تَرَدَّدَ فِـيـهـا كَـأنْ لم يَزَلْ
٣٩ ـ وَأَوْفَى عَلَى القِمَمِ الشَّـامِخَات: جِبَـالٌ مِنَ الشِّعْرِ مِنْهَا اسْـتَهَلْ(٦٧)
٤٠ ـ تَحَـدَّرُ أَنْغَامُـه المُرْسَـلاَتُ، أَنَغَـامَ سَيْلٍ طَغَـى وَاحتَـفَلْ(٦٨)
٤١ ـ رَأى حُـمرَ الوَحْشِ، فَـابْتَزَّهَا(٦٩) بِـلاَبِلَها مِنْ حَـدِيثِ الوَجَلْ
٤٢ ـ رَآهَا ظِمَـاءً إلَـى مَـوْرِد، فَـفَـزَّعَـهـا عَنْـه خَـوْفٌ مُـثَلْ(٧٠)
٤٣ ـ فَطَارتْ سِـراعَـا إلى غَـيْـرِه، بِعَـدْوٍ تَضَـرَّمَ حَـتى اشْـتَـعَل
٤٤ ـ فَلَم تَدْنُ حَـتَّى رَأتْ صَـائِدَين، فَـصَـدَّتْ عَـن المَوْت لما أَهَلّ
٤٥ ـ فَكَالبَرْقِ طَـارَتْ إلى مَأمَن عَلَى ذِي الأَرَاكَةِ(٧١) صَـافِي النَّهَلْ

.. فَـحَـلأهَا عَنْ ذِي الأَرَاكَـةِ عَـامِـرٌ
أَخُـو الخُضْـرِ، يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّوَاحِـزُ
ـ قليلُ الـتِّـلاَدِ، غَـيْـرِ قَـوْسٍ وَأَسْـهُم؛
كَـأَنَّ الَّـذي يَرْمِي مِـنَ الوَحْـشِ، تَارِزٌ
ـ مُطِلاً بِـزُرْقٍ مَـا يُدَاوَى رَمِـيُّـهَـا،
وَصَـفْـرَاءَ مِنْ نَبْعٍ عَلَيْـهَـا أَلَجِـلاَئِزُ

٤٦ ـ فَكَيْفَ تَـدَسَّسَ هَذَا البَـيَـانُ حَـتَّى رَأى بِعُـيُـونِ الحُـمُـرْ؟
٤٧ ـ وَكَـيْفَ تَغَلْغَلَ هَـذَا اللسَـانُ وَبَيَّنَ عَنْ رَاجِـفَـاتِ الحَـذَرْ(٧٢)
٤٨ ـ لَوَاهَا(٧٣) عَنِ الرِّيِّ عِرْفَانُهَا أَخَا الخُـضْرِ، عِرْفَانَ مَن قَدْ عَقَلْ!
٤٩ ـ وَعَلَّمَـهـا أَيْنَ تُكْـوَى الجُنُوب بِنَـارِ الطَّبِـيـبِ لِدَاء نَزَلْ!
٥٠ ـ وَأَنَّ الخَصَاصَةَ(٧٤) قَوْسُ البَئِيس، إذا انْقَذَفَ السَّهْمُ عَنْهَا قَتَلْ!
٥١ ـ يُسَـابِقُ مُسْـتَنْهِضَـات(٧٥) الفِرَارِ فَـيَـقْتُلُهَـا قَبْلَ أَنْ تَنْتَـقِلْ!
٥٢ ـ فَـيُدرِكُـهَا المَـوتُ مَغْـرُوسَةَ قَـوَائِمُـهَا فِي الثَّـرَى... لَمْ تَزُلْ!
٥٣ ـ وَعَـرَّفَـهَـا أَنَّهُنَّ السِّـهَـامُ: زُرْقٌ تَـلأْلأُ أَوْ تَشْـتَـعِلْ!
٥٤ ـ وَصَـفْـرَاءُ فَـاقِـعَـة (٧٦)، أَذْ كَـرَتْ مَـصَـارِعَ آبَائِهِن الأول
٥٥ ـ سِهَـامٌ تَرَى مَقْـتَلَ الحَائِمَـاتِ(٧٧)، وقَوسٌ تُطِلُّ بِحِـنْـفٍ أَظَلْ!

ـ تَخَـيَّـرَهَا القَـوَّاسُ مِنْ فَـرْعِ ضَـالَة
لَهَـا شَـذَبٌ مِـنْ دُونِهَـا وَحَـوَاجِـزُ
ـ نَمَتْ فِي مَكَـانٍ كِنهَـا، فَـاسْـتَـوَتْ بِه،
فَـمَـا دُونَهَـا مِـنْ غِـيلِهَـا مُـتَـلاَحِـزُ
ـ فَـمَـازَالَ يَنْجُـو كُلَّ رَطْبٍ وَيَـابِسٍ
وَيَنْغَلُّ،.. حَـتَّـى نَالَـهَـا وَهْـوَ بَارِزُ
ـ فَـأَنْـحَى عَلَيْـهَـا ذَاتَ حَـدٍّ، غُـرَابُـهَـا
عَـدُوٌّ لأَوْسَـاطِ العِـضَـاهِ مُـشَـارِزُ
ـ فَلَمـا اطْـمَـأَنَّتْ فِي يَدَيْـهِ..، رَأى غِنًى
أَحَـاطَ بِه، وَأَزْوَرَّ عَـمَّنْ يُحَـاوِزُ

٥٦ ـ تَخَـيَّـرَهَا بَائِسٌ، لَمْ يزل يُمَارِسُ أَمْـثَـالَهَـا مُذْ عَـقَلْ
٥٧ ـ تَبَـيَّنَهَا وَهْيَ مَـحْـجُوبَةٌ، وَمِنْ دُونِهـا سِـتْرُهَا المُنْسَدِلْ(٧٨)
٥٨ ـ حَمَـاهَا العُيُـونَ فَأَخْطَأَنَـهَا، إلىَ أَنْ أَتَاهَا خَـبِيرٌ عَـضَلْ(٧٩)
٥٩ ـ رَأى غَادَةً نُشِّئَتْ فِي الظِّلاَل، ظلال النعيم، فَصَلَّى(٨٠) وَهَلْ
٦٠ ـ فَنَادَتْه مِنْ كِنِّهَـا(٨١) فَـاسْـتَـجَابَ: لَبَّـيْكِ! [يَاقَـدَّهَا المُعْتَـدِلْ]

٦١ ـ سُتُورٌ مُهَدَّلَةٌ(٨٢) دُونَهَا، وَحُرَّاسُهَا كَرِمَاحِ الأَسَلْ
٦٢ ـ يَبِيسٌ(٨٣) ورَطْبٌ وَذُو شَوكَةٍ فَاشْرَطَهَا نَفْسَهُ.. لَمْ يَبِلْ
٦٣ ـ وَسِلٌّ لِسَاناً من الباتِرَاتِ.... وَانْغَلَّ(٨٤) عَاشِقُهَا المُخْتَبِلْ!!
٦٤ ـ يَحُتُّ اليَبِيسَ(٨٥)، وَيُرْدِي الرُّطَابَ، وَيُغْمِضُ فِي ظُلْمَاتٍ تُضِلْ
٦٥ ـ فَهَتَّكَ أَسْتَارَهَا بَارِزاً إِلَى الشَّمْسِ.. قد نَالَهَا! حَيَّهَلْ(٨٦)!!
٦٦ ـ فَأَنْحَى إِلَيْهَا اللِّسَانَ الحَدِيدَ يَبْرُقُ... وَهْوَ خَصِيمٌ جَدِلْ
٦٧ ـ عَدُوٌّ شَرِيسٌ(٨٨)، لَهُ سَطْوَةٌ بِكُلِّ عَتِيٍّ قَدِيمِ الأَجَلْ
٦٨ ـ فَأَكْلُ أُمَا غَذَّتْهَا النَّعِيمَ، وَرَاحَ بِهَا وَهْوَ بَادِي الجَذَلْ(٨٩)
٦٩ ـ فَلَمَّا أَطْمَأَنَّتْ على رَاحَتَيْهِ، وَعَيْنَاهُ تَسْتَرِقَانِ(٩٠) القَبَلْ
٧٠ ـ رَقَاهَا، فَأَحْيَى صَبَابَاتِهَا بِتَعْوِيذَةٍ مِنْ خَفِيِّ الغَزَلْ
٧١ ـ فَنَاجَتْهُ... فَاهْتَزَّ من صَبْوَةٍ، وَمن فَرَحٍ بِالْغِنَى المُقْتَبَلْ(٩١)
٧٢ ـ وَأَعْرَضَ عَنْ كُلِّ ذِي خَلَّةٍ (٩٢)، غِنىً بِالَّتِي حَازَهَا... وَانْفَتَلْ...

ـ فَمَظَّعَهَا عَامَيْنِ مَاءَ لِحَائِهَا
وَيَنْظُرُ مِنْهَا : أَيُّهَا هُوَ غَامِزُ
ـ أَقَامَ الثِّقَافُ وَالطَّرِيدَةُ دَرَّأَهَا،
كَمَا قَوَّمَتْ ضِغْنَ الشَّمُوسِ المَهَامِزُ

٧٣ ـ مَعَ الشَّمْسِ عَامَيْنِ.. حَتَّى تَجِفَّ وَتَشْرَبَ مَاءَ لِحَاءِ(٩٣) خَضِلْ
٧٤ ـ وَفِي البُؤْسِ عَامَيْنِ... يَحْنِي لَهَا، وَيُحْيِيهِ مِنْهَا: الغِنَى وَالأَمَلْ
٧٥ ـ تَرَدَّدَ عَامَيْنِ... مِنْ كَهْفِهِ إِلَى مَهْدِهَا، عِنْدَ سَفْحِ الجَبَلْ
٧٦ ـ يُغَنِّي لَهَا، وَهْوَ بَادِي الشَّقَاءِ، بَادِي البَذَاذَةِ(٩٤)، حَتَّى هُزِلْ
٧٧ ـ يُقَلِّبُهَا بِيَدَيْ مُشْفِقٍ لَهِيفٍ (٩٥)، لَطِيفٍ، رَفِيقٍ، وَجِلْ
٧٨ ـ يُعَرِّضُهَا لِلَّهِيبِ الهَجِيرِ، رُؤُوفاً بِهَا، عَاكِفاً لا يَمَلْ
٧٩ ـ فَلَمَّا تَمَحَّصَ(٩٦) عَنْهَا النَّعِيمُ، وَاشْتَدَّ أُمْلُودُهَا، وَانْفَتَلْ
٨٠ ـ عَصَتْهُ، وَسَاءَتْهُ أَخْلاَقُهَا نُشُوزاً(٩٧).. فَلَمَّا التَّوَتْ كَالمُدَلْ
٨١ ـ أَعَدَّ الثِّقَافَ (٩٨) لَهَا عَاشِقٌ يُؤَدِّبُهَا أَدَبَ المُمْتَثِلْ
٨٢ ـ وَعَضَّ عَلَيْهَا.. فَصَاحَتْ لَهُ، فَأَشْفَقَ إِشْفَاقَةً، وَانْجَفَلْ(٩٩)
٨٣ ـ فَجَسَّ، فَغَاظَتْهُ وَاسْتَغْلَظَتْ، فَعَضَّ بِأُخْرَى، فَلَمْ تَمْتَثِلْ
٨٤ ـ فَأَلْقَى الثِّقَافَ.... وَأَوْصَى الطَّرِيدَةَ(١٠٠) أَنْ تَسْتَبِدَّ بِهَا، لاَ تَكَلْ
٨٥ ـ وَأَلْقَمَهَا قَدَّهَا، فَانْبَرَتْ تُخَاشِنُهَا بِغَلِيظِ مَحَلْ(١٠١)
٨٦ ـ يُجَرِّدُهَا مِنْ ثِيَابِ العِنَادِ، وَمِنْ دِرْعِهَا الصَّعْبِ، حَتَّى تَذِلْ
٨٧ ـ فَلَمَّا تَعَرَّتْ لَهُ خُرَّةً وَمَمْشُوقَةَ القَدِّ رَيَّا(١٠٢)، جَفَلْ
٨٨ ـ وَسَبَّحَ لَمَّا اسْتَهَلَّتْ لَهُ، وَلاَنَ لَهُ ضِغْنُهَا(١٠٣)... وَابْتَهَلْ

ـ وَذَاقَ... فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللِّينِ جَانِباً
كَفَى ـ وَلَهَا أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ
ـ إِذَا أَنْبَضَ الرَّامُونَ عَنْهَا، تَرَنَّمَتْ
تَرَنُّمَ ثَكْلَى أَوْجَعَتْهَا الجَنَائِزُ

ـ هَتُوفٌ... إِذَا مَاخَالَطَ الظَّبْيَ سَهْمُهَا!
وَإِنْ رِيعَ مِنْهَا أَسْلَمَتْهُ النَّوَاقِزُ

٨٩ ـ أَطَاعَتْهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ لَوَّعَتْهُ بِالوجْدِ عَامَيْنِ حَتَّى نَحِلْ
٩٠ ـ يُزَلْزِلُهُ أَمَلٌ يَسْتَفِزُّ فِي قَيْدِ بُؤْسٍ يُمِيتُ الأَمَلْ
٩١ ـ فَلَمَّا أَذَاقَتْهُ، إِذْ ذَاقَهَا، هَوَى أَضْمَرَتْهُ لَهُ لَمْ يَزَلْ
٩٢ ـ تَبَيَّنَ إِذْ رَامَهَا، حُرَّةً حَصَاناً(١٠٤)، تَعِفُّ فَلاَ تُبْتَذَلْ
٩٣ ـ تَلِينُ لأَنْبَلِ عُشَّاقِهَا، وَتَأْبَى عَلَيْهِ إِذَا مَا جَهِلْ(١٠٥)
٩٤ ـ فَأَغْضَى حَيَاءً... وَأَفْضَى بِهَا إِلَى كَهْفِهِ خَاطِفاً، قَدْ عَجِلْ
٩٥ ـ فَأَهْدَى لَهَا حِلْيَةً صَاغَهَا بِكَفَّيْهِ، وَهْوَ الرَّفِيقُ العَمِلْ(١٠٦)
٩٦ ـ تَخَيَّرَهَا مِنْ حَشَا أَذْؤُبٍ (١٠٧)، رَآهَا لَدَى أُمِّهَا تَسْتَظِلْ
٩٧ ـ أَعَدَّ لَهَا وَتَراً كَالشُّعَاعِ حُرَّا... عَلَى أَرْبَعٍ(١٠٨) قَدْ فُتِلْ
٩٨ ـ فَلَمَّا تَحَلَّتْ بِهِ، مَسَّهَا فَحَنَّتْ(١٠٩) حَنِينَ المَشُوقِ المُضَلْ
٩٩ ـ فَكَفْكَفَهَا(١١٠) مِنْ بَنِي أُمِّهَا صَغِيراً، تَرَدَّى بِرِيشٍ كَمَلْ
١٠٠ ـ لَهُ صَلْعَةٌ كَبَصِيصِ اللَّهِيبِ مِنْ جَمْرَةٍ حَيَّةً تَشْتَعِلْ
١٠١ ـ فَضَمَّتْ عَلَيْهِ الحَشَا رَحْمَةً وَكَادَتْ تُكَلِّمُهُ.. لَوْ عَقَلْ!
١٠٢ ـ فَجُنَّ جُنُونُ المُحِبِّ الغَيُورِ..! فَأَنْبَضَ(١١١) عَنْهَا أَبِيٌّ بَطَلْ!
١٠٣ ـ أَرَنَّتْ(١١٢) تُبَكِّي أَخَاهَا الصَّغِيرَ: وَيْحِي!! أَخِي!! وَيْلَهُ!! أَيْنَ ضَلْ
١٠٤ ـ فَظَلَّ يُفَجِّعُهَا(١١٣) : أَنْ تَرَى جَنَائِزَ إِخْوَتِهَا... وَآ ثَكَلْ!
١٠٥ ـ فَأَعْرَضَ ظَبْيٌ(١١٤) فَنَادَى بِهِ أَخُوهَا... وَنَادَتْهُ: هَا! قَدْ قُتِلْ
١٠٦ ـ وَقَفَّاهُ(١١٥) ظَبْيٌ فَصَاحَتْ بِهِ... فَخَارَتْ قَوَائِمُهُ.. ، فَاضْمَحَلْ
١٠٧ ـ فَآبَا.. يَسَائِلُهَا: هَلْ رَضِيتِ بِثُكْلِ الأَحِبَّةِ؟ قَالَتْ : أَجَلْ
١٠٨ ـ فَبَاتَا بِلَيْلَةِ مَعْشُوقَةٍ تُبَاذِلُ عَاشِقَهَا مَا سَأَلْ

ـ كَأَنَّ عَلَيْهَا زَعْفَرَاناً تَمِيرُهُ
خَوَازِنُ عَطَّارٍ يَمَانٍ كَوَانِزُ
ـ إِذَا سَقَطَ الأَنْدَاءُ، صِينَتْ وَأُشْعِرَتْ
حَبِيرًا، وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا المَعَاوِزُ

١٠٩ ـ يُغَازِلُهَا، وَهْيَ مُصْفَرَّةٌ، عَلَيْهَا بَقِيَّةُ حُزْنٍ رَحَلْ
١١٠ ـ تُنَاسِمُهُ(١١٦) عِطْرَهَا، وَالشَّذَا شَذَا زَعْفَرَانٍ عَتِيقِ الأَجَلْ
١١١ ـ تَوَارَثَتْهُ الغِيدُ يَكْنِزْنَهُ لِزِينَتِهِنَّ، خَفِيَّ المَحَلْ
١١٢ ـ فَسَاهَرَهَا(١١٧) يَزْدَهِيهِ الجَمَالُ وَيُسْكِرُهُ العَرْفُ، حَتَّى ذَهَلْ
١١٣ ـ فَنَادَتْهُ : وَيْحَكَ! أَهْلَكْتَنِي! أَغِثْنِي... هَذَا النَّدَى قَدْ نَزَلْ
١١٤ ـ فَطَارَ إِلَى عَيْبَةٍ(١١٨) ضُمِّنَتْ حَرِيرًا مُوَشَّى نَقِيَّ الخَمَلْ
١١٥ ـ كَسَاهَا حَفِيٌّ بِهَا عَاشِقٌ! إِذَا أَفْرَطَ الحُبُّ يَوْمًا قَتَلْ
١١٦ ـ فَأَلْبَسَهَا الدِّفْءَ ضِنًّا بِهَا... وَبَاتَ قَرِيرًا(١١٩).. عَلَيْهِ سَمَلْ!!

ـ فَوَافَى بِهَا أَهْلَ المَوَاسِمِ، فَانْبَرَى

القوس العذراء

لَهَا بَيِّعٌ يُغْلِي بِهَا السَّوْمَ رَائِزٌ
ـ فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَشْتَرِيهَا؟! فَإِنَّهَا
تَبَاعُ بِمَا بِيعَ التِّلَادُ الحَرَائِزُ
ـ فَقَالَ : إِزَارٌ شَرْعَبِيٌّ، وَأَرْبَعٌ
مِنَ السَّيَرَاءِ، أَوْ أَوَاقٍ نَوَاجِزُ
ـ ثَمَانٍ مِنَ الكُورِيِّ، حُمْرٌ، كَأَنَّهَا
مِنَ الجَمْرِ مَا أَذْكَى عَلَى النَّارِ خَابِزُ
ـ وَبُرْدَانِ مِنْ خَالٍ، وَتِسْعُونَ دِرْهَمًا،
عَلَى ذَاكَ مَقْرُوظٌ مِنَ الجِلْدِ مَاعِزُ

١١٧ ـ تَمَتَّعْ دَهْرًا بِأَيَّامِهَا وَلَيْلاَتِهَا نَاعِماً قَدْ ثَمِلْ(١٢٠)
١١٨ ـ يَرَاهَا، عَلَى بُؤْسِهِ، جَنَّةً تَدَلَّتْ بِأَثْمَارِهَا، فَاسْتَظَلْ
١١٩ ـ تُصَاحِبُهُ فِي هَجِيرِ القَفَارِ، وَفِي ظُلَمِ اللَّيْلِ أَنَّى نَزَلْ
١٢٠ ـ فَيَحْرُسُهَا وَهْوَ فِي أَمْنَةٍ(١٢١)، وَتَحْرُسُهُ فِي غَوَاشِي الوَجَلْ
١٢١ ـ يَجُوبُ الوِهَادَ(١٢٢)، وَيَعْلُو النِّجَادَ، وَيَأْوِي الكُهُوفَ، وَيَرْقَى القُلَلْ
١٢٢ ـ وَيُفْضِي إِلَى مُسْتَقَرِّ الحُتُوفِ: فِي دَارِ نَمْرٍ، وَذُبْيَانَ، وَصَلْ(١٢٣)
١٢٣ ـ مَنَازِلَ عَادٍ، وَأَشْقَى ثَمُودَ، وَحِمْيَرَ، وَالبَائِدَاتِ(١٢٤) الأُوَلْ
١٢٤ ـ مَجَاهِلُ مَا إِنْ بِهَا مِنْ أَنِيسٍ، وَلاَ رَسْمَ دَارٍ يُرَى أَوْ طَلَلْ
١٢٥ ـ يُعَلِّمُهَا كَيْفَ كَانَ الزَّمَانُ، وَمَجْدُ القَدِيمِ، وَكَيْفَ انْتَقَلْ!
١٢٦ ـ وَكَيْفَ تَسَاقَى بِهَا الأَوَّلُونَ رَحِيقَ الحَيَاةِ وَخَمْرَ الأَمَلْ!
١٢٧ ـ وَأَيْنَ الأُخَلاَّءُ كَانُوا بِهَا يَجُرُّونَ ذَيْلَ الهَوَى وَالغَزَلْ!
١٢٨ ـ وَمُلْكٌ تَعَالَى، وَطَاغٍ عَتَا، وَحُرٌّ أَبَى وَحَرِيصٌ غَفَلْ!
١٢٩ ـ فَدَمْدَمَ(١٢٥) بَيْنَهُمُ صَارِخٌ: بَقَاءُ قَلِيلٌ!! وَدُنْيَا دُوَلْ!!
١٣٠ ـ فَعَرْشٌ يَخِرُّ، وَسَاعٍ بِقَرٍّ(١٢٦)، وَسَاقٍ يَمِيلُ.. وَنَجْمٌ أَفَلْ!!
١٣١ ـ زَهِدْتُ إِلَيْكَ وَفَارَقْتُهُمْ أَخِلاَّءَ عَهْدَ الصِّبَا وَالجَذَلْ
١٣٢ ـ فَنِعْمَ الصَّدِيقُ! وَنِعْمَ الخَلِيلُ وَنِعْمَ الأَنِيسُ.. وَنِعْمَ البَدَلْ!!
١٣٣ ـ صَدِيقٌ(١٢٧) صَدَاقَتُهَا حُرَّةٌ، وَخِلٌ خِلاَلَتُهَا لاَ تُمَلْ
١٣٤ ـ وَغَابًا مَعًا عَنْ عُيُونِ الخُطُوبِ، وَعَنْ كُلِّ وَاشٍ وَشَى أَوْ عَذَلْ
١٣٥ ـ وَعَنْ فِتْنَةٍ تُذْهِلُ العَاشِقَيْنِ، تُضِيءُ الدُّجَى لِدَبِيبِ المَلَلْ
١٣٦ ـ وَطَالَ الزَّمَانُ، فَحَنَّتْ بِهِ إِلَى الحَجِّ دَاعِيَةٌ تَسْتَهِلّ(١٢٨)
١٣٧ ـ آذَانٌ مِنَ اللهِ! كَيْفَ القَرَارُ؟ وَأَيْنَ الفِرَارُ؟ وَكَيْفَ المَهَلْ(١٢٩)
١٣٨ ـ تُرَدِّدُهُ البَيْدُ بَيْنَ الفِجَاجِ، وَفَوْقَ الجِبَالِ، وَعِنْدَ السُّبُلْ
١٣٩ ـ أَصَاخَ لَهُ، وَأَصَاخَتْ لَهُ، وَلَبَّتْهُ فَامْتَثَلَتْ، وَامْتَثَلْ
١٤٠ ـ وَطَارَا مَعًا كَظِمَاءِ القَطَا(١٣٠)، إِلَى مَوْرِدٍ زَاخِرٍ مُحْتَفِلْ
١٤١ ـ فَوَافَى المَوَاسِمَ. فَاسْتَعْجَلَتْ تُسَائِلُهُ: مَنْ أَرَى؟.. أَيْنَ ضَلّ؟
١٤٢ ـ أَسَرَّ إِلَيْهَا: أُولاَكِ الحَجِيجُ!! فَلَبَّى لِرَبٍّ تَعَالَى وَجَلْ

١٤٣ ـ وَنَادَتْهُ جَافِلَةٌ(١٣١): مَا تَرَى! أَجَذْوَةَ نَارٍ أَرَى أَمْ مُقَلْ؟
١٤٤ ـ فَمَا كَادَ... حَتَّى رَأَى كَاسِرًا(١٣٢) تَقَاذَفَ مِنْ شَعَفَاتِ الجَبَلْ
١٤٥ ـ يُدَانِي الخُطَا، وَهْوَ نَارٌ تَؤَجُّ(١٣٣)، وَيُبْدِي أَنَاةً تَكُفُّ العَجَلْ
١٤٦ ـ وَمَدَّ يَدًا لا تَرَاهَا العُيُونُ، أَخْفَى إِذَا مَا سَرَتْ مِنْ أَجَلْ
١٤٧ ـ وَنَظْرَةَ عَيْنٍ لَهَا رَوْعَةٌ، تُخَالُ صَلِيلَ سُيُوفٍ تُسَلّ
١٤٨ ـ فَلَمَّا أَهَلَّ وَأَلْقَى السَّلاَمَ، وَأَفْتَرَ عَنْ بَسْمَةِ المُخْتَتِلْ(١٣٤)
١٤٩ ـ وَقَالَ : أَنِسْتَ؟! وَيُمْنَى يَدَيْهِ تَمَسُّ أَنَامِلُهَا مَا سَأَلْ
١٥٠ ـ رَأَى بَائِسًا مَالُهُ حُرْمَةٌ تَكُفُّ أَذَىً عَنْهُ... بُؤْسٌ وَذُلّ
١٥١ ـ وَقَالَ : فَدَيْتُكَ! مَاذَا حَمَلَتْ؟ وَمَاذَا تَنَكَّبْتَ(١٣٥) يَا ذَا الرِّجُلْ؟!
١٥٢ ـ وَأَفْدِي الَّذِي قَدْ بَرَى عُودَهَا، وَقَوَّمَ مُنْآدَهَا(١٣٦)، وَاعْتَمَلْ!!
١٥٣ ـ فَهَزَّتْهُ مَا كَرَةٌ، (١٣٧)لم يَزَلْ يَتِيهُ بِهَا السَّمْعُ، حَتَّى غَفَلْ
١٥٤ ـ فَأَسْلَمَهَا لِشَدِيدِ المِحَالِ(١٣٨)، ذَلِيقِ اللِّسَانِ، خَفِيِّ الحِيَلْ
١٥٥ ـ فَلَمَّا تَرَامَتْ عَلَى رَاحَتَيْهِ، وَرَازَ(١٣٩) مَعَاطِفَهَا وَالثِّقَلْ
١٥٦ ـ دَعَتْ: يَا خَلِيلِيَ! مَاذَا فَعَلْتَ؟! أَأَسْلَمْتَنِي؟! لِسَوَاكَ الهَبَلْ(١٤٠)!!
١٥٧ ـ فَخَالَسَهَا (١٤١) نَظْرَةً خَفَضَتْ غَوَارِبَ جَأْشٍ غَلاَ بِالوَهَلْ
١٥٨ ـ وَقَالَ : لَكَ الخَيْرُ! فَدَّيْتَنِي بِنَفْسِكَ!!
ـ بَارِي قِسِيّ!
ـ أَجَلْ!!
١٥٩ ـ فَبِعْنِي إِذَنْ!!
ـ هِيَ أَغْلَى عَلَيَّ، إِذَا رُمْتَهَا، مِنْ تِلاَدِ(١٤٢) جَلَلْ!
١٦٠ ـ فَقَالَ : نَعَمْ! لَكَ عِنْدِي الرِّضَى، وَفَوْقَ الرِّضَى!
ـ [وَيْلُهُ مَنْ مُضِلْ!]
١٦١ ـ فَهَلْ تَشْتَرِيهَا(١٤٣)؟!..
ـ نَعَمْ أَشْتَرِي!
ـ لَكَ الوَيْلُ مِثْلُكَ يَوْمًا بَخِلْ!
١٦٢ ـ فَدَيْتُكَ!! أَعْطَيْتُ مَا تَشْتَهِيهِ!.. مَابِي فَقْرٌ وَلا بِي بَخَلْ(١٤٤)!
١٦٣ ـ فَنَادَتْهُ، وَيْحَكَ! هَذَا الخَبِيثُ! خُذْنِي إِلَيْكَ، وَدَعْ مَا بَذَلْ
١٦٤ ـ فَبَاسَمَهَا(١٤٥) نَظْرَةً... ثُمَّ رَدَّ إِلَى الشَّيْخِ نَظْرَةَ سُخْرٍ مُطِلّ:
١٦٥ ـ بِكَمْ تَشْتَرِيهَا؟!..
فَصَاحَتْ بِهِ : حِذَارِ! حِذَارِ! دَهَاكَ الخَبَلْ!!
١٦٦ ـ لَهُ رَاحَةٌ نَضَحَتْ(١٤٦) مَكْرَهَا عَلَيَّ، فَدَعْ عَنْكَ! لاَ تُغْتَفَلْ
١٦٧ ـ فَقَالَ : إِزَارٌ مِنَ الشَّرْعَبِيِّ(١٤٧) وَأَرْبَعُ مِنْ سِيَرَاءِ الحُلَلْ
١٦٨ ـ بُرُودٌ تَضِنُّ بِهِنَّ النِّجَارُ(١٤٨) إِذَا رَامَهُنَّ مَلِيكٌ أَجَلّ
١٦٩ ـ وَمِنْ أَرْضِ قَيْصَرَ : خُمْرٌ ثِمَانٍ جَلاَهَا (١٤٩) الهِرَقْلِيُّ، مِثْلَ الشُّعَلْ
١٧٠ ـ ثَمَانٍ تُضِيءُ عَلَيْكَ الدُّجَى! إِذَا عَمِيَ النَّجْمُ، نِعْمَ البَدَلْ
١٧١ ـ وَبُرْدَانِ مِنْ نَسْجِ خَالٍ(١٥٠)، أَشَفُّ وَأَنْعَمُ مِنْ خَدِّ عَذْرَاءَ... بَلْ

١٧٢ ـ إذَا بُسطَا تُحتَ شَمْسِ النَّهارِ، فالشَّمْسُ تَحتَهُمَا... لَيْسَ ظلْ
١٧٣ ـ وَتسْغُون مثْلُ عُيُون الجَرَادْ... بَرَّاقَةٌ كَغدير(١٥١) الوَشَلْ
١٧٤ ـ كَمرْآة حَسْنَاءَ مَفْتُونة، كَرأْس سنَان حَديث صُقَلْ
١٧٥ ـ أجَلْ..!! وَأديمٌ(١٥٢) كَمثْل الحَرير، يُطْوَى وَيُرْسَلُ مثْلَ الخَصَلْ
١٧٦ ـ وَحَوْلَهُمَا زَفَرَاتُ الزِّحَام، وَأذْنٌ تَميلُ، وَرَأسٌ يُطلْ
١٧٧ ـ وَغَمْغَمَةٌ(١٥٣)، وَحَديثٌ خَفِيٌ وَنَغْيَةُ زَار، وآت سَأَلْ
١٧٨ ـ وَعَاشقَةٌ في إسَار(١٥٤) السوَام!! وَعَاشقُها في الشَّرَاك اُحْتُبِلْ
١٧٩ ـ تُنَادِيه مَلْهُوفَة تَسْتَغيثُ، ضَائعَةُ الصَّوْت... عَنْهَا شُغِلْ

ـ فَظَلَّ يُنَاجِي نَفْسَهُ وَأَمِيرَهَا
أَيَأْتِي الَّذِي يُعْطَى بِهَا أَمْ يُجَاوِزُ
ـ فَقَالُوا لَهُ : بَايِعْ أَخَاكَ.. وَلا يَكُنْ
لَكَ اليَوْمَ عَنْ رِبْحٍ مِنَ البَيْعِ لاَهِزُ

١٨٠ ـ [أعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّ السَّمَاء وَالأرْض!.. مَاذَا يَقُولُ الرَّجُلْ؟!
١٨١ ـ أجُنَّ؟! نَعَمْ.. لاَ.. أرَى سُورَةَ(١٥٥) منْ العَقْل، لاَخْلجَات الخَبَلْ!
١٨٢ ـ وَعَيْنَيْ صَفْاء كَمَاء القَلاَتْ(١٥٦)، وَعِرْنِينَ أنْف سَمَا وَاعتَدَلْ
١٨٣ ـ وَجَبْهَة زَاك (١٥٧)، نَمَاهُ النَّعيمُ فَي سُؤْدُد وَسَرَاء نُبُلْ
١٨٤ ـ أيُعْطِي بِهَا المَالَ؟! هَذَا الخَبَالُ! قَوْس وَمَالٌ كَهَذَا؟ تُكِلْ!!
١٨٥ ـ وَيَارَبِّ! يَارَبِّ! مَاذَا أقُولُ؟.. أقُولُ نَعَمْ!.لا فَهَذَا خَطَلْ
١٨٦ ـ أبِيعُ!! وَكَيْفَ!.. لَقَدْ كَادَنِي(١٥٨) بِعَقْلِي هَذَا الخَبِيثُ المَحِلْ
١٨٧ ـ أُفَارِقُهَا! وَيْكَ(١٥٩)!! هَذَا السَّفَاهُ! قَوْسِيَ! كَلاَّ! خَذِينِي وَخَلْ!!
١٨٨ ـ أجَلْ!! بَلْ هُوَ البؤْسُ بَاد عَليَّ! فَأغْرَاهُ بِي! وَيْحَهُ! مَا أضَلْ!!
١٨٩ ـ يُسَاوِمُنِي المَالَ عَنْهَا؟! نَعَمْ!.. إذَا لَبِسَ البُؤْسُ حُرًّا أذَلْ
١٩٠ ـ إذَا مَا مَشَى تَزْدَرِيه العُيُونُ، وَإنْ قَالَ رُدَّ كَأنْ لَمْ يَقُلْ
١٩١ ـ نَعَمْ! إنَّهُ البُؤْسُ!! أيْنَ المَفَرُّ منْ بَشَر كَذئَاب الجَبَلْ؟!
١٩٢ ـ ثَعَالبُ نُكْر(١٦٠) تُجِيدُ النِّفَاقَ حَيْثُ تُرَى فُرْصَةٌ تُهْتَبَلْ
١٩٣ ـ كِلاَبٌ مُعَوَّدَةٌ للهَوَان تُبَصْبِصُ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ بَذَلْ
١٩٤ ـ فَوَيْحِي منَ البُؤْس!.. وَيْلٌ لَهُمْ!!. أرَى المَالَ نُبْلاً يُعَلِي السَّفَلْ(١٦١)
١٩٥ ـ فَخُذْ مَا أتَيتَ بِه..!! إنَّه مَليك يُخَافُ، وَرَبٌ يُجَلْ
١٩٦ ـ وَسُبْحَانَ رَبِّي! يَدِي! مَا يَدِي؟! بَرِيئَتُ القَسيَّ بِهَا لم أمَلْ!
١٩٧ ـ حبَانِي(١٦٢) به فَاطرُ النِّيرَات وَبَارِي النَّبَات وَمُرْسِي الجَبَلْ!
١٩٨ ـ وَأوْدَعَهَا سِرَّهَا عَالِم خَبِيرٌ بِمَكْنُونِهَا لَمْ يَزَلْ!
١٩٩ ـ وَفِي المَالِ عَوْنٌ عَلَى مثْلِهَا! وَفِي البُؤْس هُونٌ(١٦٣)، وَذُلٌ، وَقُلْ!]
٢٠٠ ـ تَنَادَوْا به : أنْتَ؟! مَاذَا دَهَاكَ؟! مَالكَ يَا شَيْخُ؟! قُلْ يَا رَجُلْ!
٢٠١ ـ وَآت يُصَيحُ، وَكَفٌ تُشِيرُ، وَصَوْتٌ أجَشُّ(١٦٤)، وَصَوْتٌ يَصِلْ!
٢٠٢ ـ وَطَنَّتْ مَسَامِعُهُ طَنَّةً... وَزَاغَتْ نَوَاظِرُهُ وَاخْتَبَلْ
٢٠٣ ـ .. وَأفْضَى إلَيْه كَهَمْس المَريض أشَفَّى(١٦٥) عَلَى المَوْت مَا يَسْتَقِلْ..
٢٠٤ ـ تُنَادِيه: وَيْحَكَ! وَيحِي!! هَلَكْتَ!! أتَوْكَ بِقَاصِمَةٌ! وَاتَّكَلْ!
٢٠٥ ـ تَلَفَّتَ يَصْغِي... وَمِثْلُ اللَّهِيب ضَوْضَاءُ وَعْوَعَة(١٦٦) في زَجَلْ
٢٠٦ ـ فَهَذَا يُؤَجُّ(١٦٧)... وَهَذَا يَعِجُّ... وَهَذَا يَخُورُ... وَهَذَا صَهَلْ!
٢٠٧ ـ وَدَان يُسِرُّ... وَدَاع يَحُثُّ... وَكَفٌ تُرَبِّتُ: بِعْ يَا رَجُلْ!
٢٠٨ ـ لَقَدْ بَاعَ بَعْ! بَاعَ! لاَ لَمْ يَبِعْ! غِنَى المَالِ! وَيْحَكَ! بِعْ يَا رَجُلْ!
٢٠٩ ـ [وَحَشْرَجَةُ(١٦٨) الموْت: خُذْنِي.. إلَيكَ!!

ـ لَبَّيْك!! لَبَّيْك!]

بِعْ يَا رَجُلْ!!
٢١٠ ـ [أغِثْنِي!. أجَلْ!]
بَاعَ! مَاذَا؟! أبَاعَ؟! نَعَمْ بَاعَ قَدْ بَاعَ! حَقّاً فَعَلْ؟!
٢١١ ـ [أغِثْنِي! أغِثْنِي! نَعَمْ!]
قَدْ رَبِحْتَ!!.. بُورِكَ مَالُكَ!
أيْنَ الرَّجُلْ؟!
١١٢ ـ مَضَى!.. أيْنَ!.. لاَ. لَسْتُ أدْرِي!.. متَى؟
لَقَدْ بِعْتَ ؟!.. كَلاَّ وَكَلاَّ.. أجَلْ!
٢١٣ ـ لَقَدْ بِعْتَ! قَدْ بِعْتَ!
ـ كَلاَّ! كَذَبْتَ!
لَقَدْ بِعْتَ! قَدْ بَاعَ!
ـ وَيْحِي! أجَلْ
٢١٤ ـ لَقَدْ بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا.. جُزِيتُمْ بَخَيْر جَزَاء، أجَلْ!..
٢١٥ ـ أجَلْ بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا. بِعْتُهَا!! أجَلْ بِعْتُهَا!! لاَ، أجَلْ لاَ، أجَلْ

فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتِ العَيْنُ عَبْرَةً،
وَفِي الصَّدْرِ حَزَّازٌ مِنَ الوَجْدِ حَامِزُ

٢١٦ ـ [أجَلْ.. لاَ أجَلْ بِعْتُهَا! بِعْتُهَا!. أجَلْ بعتها! بِعْتُهَا!.. لاَ أجَلْ
٢١٧ ـ وفَاضَتْ دُمُوعٌ كَمِثْل الحَمِيم(١٦٩)، لَذَّاعَةٌ، نَارُهَا تَسْتَهِلْ
١١٨ ـ بُكَاء منَ الجَمْرِ جَمْرِ القُلُوب، أرْسَلَهَا لاَعِجٌ(١٧٠) منْ خَبَلْ
٢١٩ ـ وَغَامَتْ بِعَيْنَيْه، وَاسْتَنْزَفَتْ دَمَ القَلْب يَهْطِلُ فيمَا هَطَلْ
٢٢٠ ـ وَخَانِقَةٌ ذَبَحَتْ صَوْتَهُ، وَهيضَ(١٧١) اللِّسَانُ لَهَا وَاعْتقلْ
٢٢١ ـ وَأغْضَى عَلَى ذلَّة مُطْرِقًا، عَلَيه منَ الهَمِّ مثْلُ الجَبَلْ
٢٢٢ ـ أقَامَ... وَمَا إنْ بِهِ منْ حَرَاك، تَخَاذلُ (١٧٢) أعْضَاؤُهُ كَالأشَلْ
٢٢٣ ـ وَفي أُذُنَيه ضَجِيجُ الزِّحَام، وَ«بِعْ بَاعَ، بِعْ بَاعَ، بِعْ يَا رَجُلْ»!
٢٢٤ ـ وَأخْلَدَ في حَيْثُ طَارَ السوَامُ(١٧٣) بِمُهْجَته، كَأرُوم مَثَلْ
٢٢٥ ـ كَأنَّ صَخْرَةٌ نَبَتَتْ، حَيْثُ قَامَ، تمثَال حُزْن صَلُود(١٧٤) عُتُلْ
٢٢٦ ـ وَمنْ حَوْله النَّاسُ مثْلُ الدَّبَى(١٧٥) عجَالاً تَنَزَى، دَهَاهُنَّ طلْ
٢٢٧ ـ فَمنْ قَائل : فَازَ! رَدَّت عَلَيْه قَائلَةٌ : لَيْتَهُ مَا فَعَلْ!
٢٢٨ ـ وَمنْ هَامس: وَيْحَهُ مَادَهَاهُ! وَمنْ مُنْكر: كَيْفَ يَبْكي الرَّجُلْ!
٢٢٩ ـ وَمنْ ضَاحك كَرْكَرَتْ(١٧٦) ضَحْكَةٌ لَهُ مِنْ مَزُوح خَبِيث هَزَلْ
٢٣٠ ـ وَمنْ سَاخر قَالَ : يَا آكلاً! تَلَبَّسَ في سَمْت(١٧٧) منْ قَدْ أكَلْ!

القوس العذراء

٢٣١ ـ وَمِنْ بَاسِط كَفَّهُ كَالمُعَزِّي وَهَيْنَمَة(١٧٨) غَمْغَمَتْ لَمْ تُقَلْ
٢٣٢ ـ وَمِنْ مَشَّفِق سَاقَ إِشْفَاقَهُ وَوَلَّى، وَمُلْتَفت لَمْ يُوَلّ
٢٣٣ ـ وَسَالَت جُمُوعُهُمُ في الرِّمَال.. وَمَاتَ الوَغَى(١٧٩).. غَيْرَ حَسّ يَصِلْ
٢٣٤ ـ وَأَسْفَرَ(١٨٠) وَانْجَابَ دَاجِي السَّوَاد عَنْ مُخْبِت خَاشِع كَالمُصَلّ
٢٣٥ ـ وَظَلَّ طَوِيلاً.. لَهُ سَبْتَةٌ(١٨١) وَإِطْرَاقَةٌ، وَآسَى يَنْهَمِلْ
٢٣٦ ـ أَفَاقَ وَقَيْذاً(١٨٢)، بَطِيءَ الإِفَاقَة.. يَرْفَعُ مِنْ رَأْسه كَالمُطَلّ
٢٣٧ ـ وَقَلَّبَ عَيْنَيه: مَاذَا يَرى؟ وَأَيْنَ الزِّحَامُ؟ وَأَيْنَ الرَّجُلْ!
٢٣٨ ـ رَأَى الأَرْضَ تَمْشِي بِهِم كَالخَيَال، أَشْبَاحُهُمْ خُشُبٌ تَنْتَقِلْ
٢٣٩ ـ وَهَامٌ(١٨٣) مُحَلَّقَةٌ رُجَّفٌ، وَأُخْرى بَدَتْ كَنَزِيع البَصَلْ
٢٤٠ ـ وَأَغْرِبَةٌ (١٨٤): بَعْضُهَا جَاثِم يُحَرِّك رَأْسًا، وَبَعْضٌ حَجَلْ
٢٤١ ـ وَحَيَّاتُ وَاد، لِشَمْسِ الضُّحَى تُلْوِي حَيَازِيمَهَا(١٨٥) والقُلَلْ
٢٤٢ ـ وَأَزْلَقَةٌ(١٨٦) مِنْ ضِبَاعِ الفَلاَة تَجْمَعُ مِنْ حَوْلِ قَتْلَى هَمَلْ
٢٤٣ ـ وَهَنَّا وَهَنَّا ضِبَابٌ(١٨٧) مَرَقْنَ مِنْ كُلِّ جُحْرٍ لِسَيْلٍ حَفَلْ
٢٤٤ ـ وَثَوْبٌ يَطِيرُ بِلاَ لاَبِس، يَمِيلُ مَعَ الرِّيحِ أَنَّى تَمِلْ
٢٤٥ ـ تَمَطَّى بِهِ البَعْثُ مِنْ نَعْسَة، وَمِنْ سنة كَفَتُور الكَسَلْ
٢٤٦ ـ وَدَبَّتْ إِلَيْه بَقَايَا الحَيَاة، فَرَفَعَ أَعْطَافَهُ(١٨٨) وَاعْتَدَلْ
٢٤٧ ـ وَظَلَّ يُنَازِعُ كَبْلَ(١٨٩) الذُّهُول وَيَحْتَلِجُ النَّفْسَ مِنْ أَسْرِ غُلْ
٢٤٨ ـ كَنَاشط(١٩٠) ثَقُلَ طَوِيلِ الرِّشَاء مِنْ هُوَّة في حَضِيضِ الجَبَلْ
٢٤٩ ـ رُوَيْدًا رُوَيْدًا فَثَابَتْ لَهُ مُلْجُلَجَةٌ(١٩١) يَعْتَرِيهَا هَلَلْ
٢٥٠ ـ وَمِثْلَ الحَمَامَة بَيْنَ الضُّلُوعِ قَدْ انْتَفَضَتْ مِنْ غَوَاشِي بَلَلْ
٢٥١ ـ يُقَلِّبُ جِمْجُمَةً، خَالَهَا كَجُلْمُود صَخْر رَكِين(١٩٢) حَمَلْ
٢٥٢ ـ فَلأْياً بِلأْيٍ(١٩٣) وَآبَتْ لَهُ مُبَعْثَرَةٌ مِنْ أَقَاصِيِّ العِلَلْ
٢٥٣ ـ وَنَفَّسَ عَنْ صَدْرِهِ زَفْرَةً، وَخَامَرَهُ(١٩٤) البُرْءُ حَتَّى أَبَلّ
٢٥٤ ـ أَحَسَّ بِكَالجَمْرِ في رَاحَتَيْه: سَعِير تَوَقَّد!! مَاذَا احْتَمَلْ؟
٢٥٥ ـ وَيَبْسُطُ كَفَّيه: مَاذَا أَرى جَوَابٌ حَثِيثٌ وَلَوْ لَمْ يَسَلْ!!
٢٥٦ ـ عُيُونٌ تُحَمْلِقُ في وَجْهِه، مِنْ الخُبْث تَزْهَرُ(١٩٥) أَوْ تَاكَلْ!!
٢٥٧ ـ [أَجَلْ بِعْتُهَا! بِعْتُهَا بِعْتُهَا!.. بِقَاءٌ قَلِيلٌ وَدُنْيَا دُوَلْ!]
٢٥٨ ـ وَأَلْقَى الغِنَى لِلثَّرَى! وَانْتَحَى(١٩٦) وَنَفَضَ كَفَّيْه: [حَسْبِي! أَجَلْ]
٢٥٩ ـ وَأَلْقَى إِلَى غَالِيَاتِ الثِّيَاب وَالبَزِّ نَظْرَةَ لاَ مُحْتَفِلْ!
٢٦٠ ـ وَوَلَى كَئِيبًا ذَلِيلَ الخُطَا، بَعِيدَ الأَنَاة، خَفِيَّ الغُلَلْ(١٩٧)!
٢٦١ ـ وَأَوْغَلَ في مُضْمَرَاتِ(١٩٨) الغُيُوبِ يَطْوِي البَلاَبِلَ طَيَّ السِّجِلّ
٢٦٢ ـ أَرَادَ لِيَنْسَى وَبَيْنَ الضُّلُوعِ نَوَافِذَ مِنْ ذِكَر تَنْتَضِلْ
٦٦٣ ـ فَأَحْيَتْ صَبَابَتَهُ، وَالجِرَاحُ دِمَاءٌ مُفَزَّعَةٌ لَمْ تَسَلّ
٢٦٤ ـ تُرِيه الرُّؤَى وَهْوَ حَيُّ النَّهَار، وَتَسْرِي بِه وَهْوَ لَمْ يَنْتَقِلْ
٢٦٦ ـ وَيَبْسُطُ كَفَّيه مُسْتَغْرِقًا، فَتَحْسَبُهُ قَارِئًا قَدْ ذَهَلْ
٢٦٧ ـ يَرَى نِعْمَة لَبِسَتْ نِقْمَةً، وَنُورًا تَدَجَّى(١٩٩)، وَسِحْرًا بَطَلْ
٢٦٨ ـ وَآيَتَهُ(٢٠٠) عَاثَ فِيهَا الشُّحُوبُ فَأَنْكَرَ مِنْ لَوْنِهَا مَا نَصَلْ
٢٦٩ ـ وَأَسْرَارَهَا(٢٠١) فَضَّهَا طَائِف لَهُ سَطْوَة وأذى حَيْثُ حَلْ
٢٧٠ ـ وَسَحْقَ(٢٠٢) غِشَاء عَلَى أَعْظُمٍ، تَهَتَّك مِثْلَ الأَدِيم النَّغِلْ
٢٧١ ـ وَمَسَتْ أَنَامِلَهُ رَجْفَةٌ، تَسَاقَطَ عَنْهَا سَنَاهَا(٢٠٣) وَزَلّ
٢٧٢ ـ وَأَفْضَى بِنَظْرَته نَافِذًا إِلى غَيْبِ مَاض بَهِيمِ(٢٠٤) السُّبُلْ
٢٧٣ ـ تَلاَوَذُ(٢٠٥) أَشْبَاحُهُ، كَالذَّلِيل، بِلُغْزِ نَخِيل، وَدَاجِي دَغَلْ
٢٧٤ ـ وَأَسْوَدَةً خَطِفَتْ فِي الظَّلاَمِ هَارِبَةً مِنْ صَيُودٍ خَتَلْ
٢٧٥ ـ وَطَيْرًا مُرَوِّعَةً أَجْفَلَت، وَآمِنَ طَيْرٍ وَدِيعٍ هَدَلْ(٢٠٦)
٢٧٦ ـ وَشَقَّت لَهُ السُّدَفَ(٢٠٧) الغَاشِيَات حَسْنَاءُ ضَالَ عَلَيْهَا الحُلَلْ
٢٧٧ ـ أَضَاءَ الظَّلاَمُ لَهَا بَغْتَةً، وَقَوَّضَ خَيْمَتَهُ وَارْتَحَلْ
٢٧٨ ـ أَطَلَّتْ لَهُ مِنْ خِلاَلِ الغُصُونِ عَذْرَاء مَكْنُونَة لَمْ تُنَلْ
٢٧٩ ـ «رَأَى غَادَةً نُشِّئَتْ في الظِّلاَلِ، ظِلاَلِ النَّعِيم»، عَلَيْهَا الكَلَلْ(٢٠٨)
٢٨٠ ـ عَرُوسٌ تَمَايَلُ مُخْتَالَةً، تُمِيتُ بَدَلٌ، وَتُحْيِي بَدَلْ
٢٨١ ـ وَنَادَتْه، فَارْتَدَّ مُسْتَوفِزًا(٢٠٩) بِجُرْحٍ تَلَظى وَلَمْ يَنْدَمِلْ:
٢٨٢ ـ أفق! قَدْ أَفَاقَ بِها العَاشِقُون قَبْلَكَ، بُعْدَ أَسىً قَدْ قَتَلْ!
٢٨٣ ـ أَفِقْ! يَا خَلِيلِي! أفق! لاَ تَكُنْ حَلِيف الهُمُوم، صَرِيع العِلَلْ
٢٨٤ ـ فَهَذَا الزَّمَانُ، وَهَذِي الحَيَاةُ، عَلَّمْتنيهَا قَدِيمًا: دُوَلْ!!
٢٨٥ ـ أَفِقْ! لاَ فَقَدْتُكَ! مَاذَا دَهَاكَ؟! تَمَتَّعْ! تَمَتَّعْ! بِهَا! لاَ تَبِلْ!
٢٨٦ ـ بِصُنْع يديْك تَرَانِي لَدَيْكَ، في قَدِ أُخْتِي! وَنِعْمَ البَدَلْ!
٢٨٧ ـ صَدَقْت! صَدَقْت!. وَأَيْنَ الشَّبَابُ؟ وَأَيْنَ الوَلُوعُ؟ وَأَيْنَ الأَمَلْ
٢٨٨ ـ صَدَقْت صَدَقْت!!.. نَعَمْ قَدْ صَدَقْت! وَسِر يَدَيْك كَأَنْ لَمْ يَزَلْ
٢٨٩ ـ حَبَاكَ بِه فَاطِر النَّيِّرات، وَبَارِي النَّبَات، وَمَرْسِي الجَبَلْ
٢٩٠ ـ فَقُمْ! وَاسْتَهِلَّ(٢١٠)، وَسَبِّحْ لَهُ! وَلَبِّ لِرَبٍّ تَعَالَى وَجَلّ

.... وأستغفر اللَّه، فإلا تكنْ رَضيتَ فقد أملَلْتك، وإذا أنا قد أسأتُ من حيثُ أردتُ الإحسان.. ولكنَّك بعثتَ كوامنَ نفسي مُنْذ رأيتُك، فتوسَّمْتُ وجْهك، وعرفتُ فيه شيئًا أخطأتُه في وُجوه كثير من أهل زماننا، فأحببتُ أن أعظك وأعظَ نفسي بنِعمة اللَّه على عباده، إذ جعَل بعضَهم لبعض قُدوةً وعِبْرَةً، وآتاهُم من مكنون علْمه مالا يغفلُ عنْه إلاّ هالكٌ، ولا يُضيِّعه إلاّ مُستهينٌ لا يبالي. وقد بلّغنا رسولُ اللَّه عن ربهِ بلاغًا يُضيء لكلِّ حيٍّ نَهْجَ حياته، ويُمسكُ عليه هدْيَ فطرته، إذ قال: «إنّ اللَّه يُحبُّ إذا عمل أحدُكُم عملاً أن يُتْقنَه» وقال: «إنّ اللَّه كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيء، فإذا قتلْتم فأحسنُوا القتلة، وإذا ذبحْتُم فأحسنُوا الذِّبْحة، ولْيُحدَّ أحدُكُمْ شفْرتَه، ولْيُرِحْ ذبيحتَه» فانْظُر إلى أين كتب اللَّه علَينا أن نبلُغَ في إتقان ما نَصْنَع، وإحسانِ ما نَعْمَل!

اللهُم إنَّا نسألُك الثباتَ في الأمر، والعزيمةَ على الرُّشْد، والإتقانَ في العَمَل، والإحسانَ فيما نأتي وما نَذر. ونَسْألُكَ منْ خير ما تَعْلم، ونعوذُ بك من شرّ ما تَعْلم. ونَسألُك قَلْبا سليما، ولسانًا صادقًا، وعملاً صالحًا، وسَدادًا في الخير. والسلامُ على منْ اتَّبَع الهُدَى.

من أخيك..

محمود محمد شاكر

القاهرة: ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٧١هـ

١٥ يناير سنة ١٩٥٢م

■■ هوامش:

(١) أعوزه الأمر يعوزه: إذا اشتد عليه وعسر، واحتاج إليه فلم يقدر عليه.

(٢) ينسرب: يجري سائلاً متتابعاً لا يكاد يحسه.

(٣) النهج: الطريق المستقيم الواضح البين. واللاحب: الطريق الواسع الأملس، لا يعوقك في مسيرك فيه شيء. والهدي: السيرة المستقيمة المؤدية إلى غاية لا تضل عنها.

(٤) لا يتخلف: لا ينقطع عنها فيتأخر، ويأتي في غير موعده ومكانه.

(٥) الذرة: النملة الصغيرة الحمراء. النمال (جمع نملة).

(٦) تقضي نحبها: تفرغ من عملها، وتبلغ مدة أجلها.

(٧) تمرق: تخرقه وتخرج منه ضالة على وجهها.

(٨) تحدث: تبتدع طريقاً مخالفاً لسنة خلقها.

(٩) سن الطريق: بينه ووطاه مستقيماً إلى قصد معروف.

(١٠) نسقاً: أي نظاماً متتابعاً متواتراً على سواء السبيل. منقاداً: سلساً مفضياً إلى نهايته.

(١١) التراث: الإرث المورث، والمؤبد: الخالد منذ أبد الآبدين.

(١٢) السنة: الطريقة والسيرة اللازمة.

(١٣) المنهاج: المسلك الواضح. الغابر: الماضي. والشرك: جادة الطريق لاتخفى معالمها، لظهور آثار السائرين فيها، فالسائر كأنه يهتدي فيها ويستقيم اضطراراً.

(١٤) تشنؤه: تجده قبيحاً شنيعاً فتبغضه، تخامرك: تخالط نفسك فَتُغْطِّي على حسن تمييزك، كما تفعل الخمر بالعقول.

(١٥) مدرج أوله: دبيب آبائه الأولين عليها. درج الصبي: دب على الأرض ومشى مشياً ضعيفاً. والفرط: السابق المتقدم.

(١٦) سدى: مهملاً غير مأمور ولا منهي ولا مسدد. الهمل: الضال المتروك بلا بيان يهديه أو يحكمه.

(١٧) النهج الأول، والهدي القديم هو الفطرة التي فطر الله عليها آدم وولده قبل اختلافهم وضلالهم، ونزول التكليف، وبعثة الأنبياء.

(١٨) أنبط: استخرج الماء من بطن الأرض. الذخائر (جمع ذخيرة) وهو ماتخيرته فأخفيته ودفنته عن العيون. يستبحر: ينشق ويتسع ويصير كالبحر لاينقطع ماؤه. السرائر (جمع سريرة):وهو ماكان مكتوماً كالسر، لايعرف حتى تعلنه. والفتح:ما انفتح بعد استغلاق.

(١٩) تَأيَّد: صار ذا أيد وقوة وتمكن. تالد: تقادم عهده وثبت أصله. عمر: عاش وبقي زمانا طويلاً.

(٢٠) حاد: مال عنه وعدل إلى غيره. مرق: خرقه وخرج إلى ضلال المسالك.

(٢١) تمرس: احتك بالشيء فأثر فيه. أسلم: ترك مخذولا بلا هداية.

(٢٢) نزع: حن واشتاق.

(٢٣) احتفر: بذل الجهد في الحفر. أكدى حافر البئر: إذا حفر فبلغ الصخور، فقطع الحفر خيبة ويأساً.

(٢٤) ندت: نفرت هاربة واستصعبت. استقادت: خضعت وأعطته المقادة.

(٢٥) جاشت نفسه: فارت وارتفعت. والصبابة: بقية الماء التي تصب.

(٢٦) الميسم: اثر الوسم بالنار، تدله: ذهب عقله من الحب والهوى

(٢٧) استجاد: وجد لذة جودته وحسنه.

(٢٨) الزهو: التيه والفخر والعظمة.

(٢٩) ختله: خدعه على حين غفلة.

(٣٠) عدت إليه: أسرعت إليه على حين بغتة. والنبوة: القلق الذي يمنع الاطمئنان.

(٣١) أعلام (جمع علم): وهو المنار الذي ينصب في الطرق لهداية السارين.

(٣٢) ركد البرق: سكن وميضه. والبوارق (جمع بارقة): وهي السحابة ذات البرق.

(٣٣) صافاه: أخلص له الحب، وأعطاه صفو مودته وهمه.

(٣٤) المتانق: الذي يعمل الشيء بتجويد يأتي فيه بالعجب، حباً لما يعمل وإعجاباً به. ثرة: غزيرة الماء. لاعج: محرق يستعر في القلب ويترك فيه آثاراً.

(٣٥) ممتهن: مبتذل.

(٣٦) مذخور: يتخذه المرء ذخيرة يصطفيها ويضن بها.

(٣٧) فسق: خرج منها إلى الضلال. والتلاد: القديم الموروث الذي يولد معك.

(٣٨) استغواه: طلب غوايته وضلاله. وانسلخ: نزع نفسه منه. والركاز: أصله، قطع الذهب والفضة المركوزة المدفونة في باطن الأرض. والجبلة: الطبيعة الراسخة التي يبنى عليها الخلق. يعتسفه: يركب طريقه بلا روية ولاهداية ولا أناة.

(٣٩) الضراوة: اعتياد الشيء حتى لايكاد المرء يصبر عنه. والنهمة: الشهوة التي تسوق النفس فلا تكاد تنتهي. انبت: أتعب دابته في السير حتى انقطعت بلا رجعة. والفلاة: الصحراء المنقطعة لا ماء بها ولا أنيس. مطموسة: دارسة لا أثر فيها.

(٤٠) عضل: ضاق فلم يدخل ولم يخرج.

(٤١) الخبء: المخبوء. التليد: القديم الموروث. استوى: بلغ غاية نمائه واعتدل. واستحصد: حان له أن يؤتي حصاده.

(٤٢) يعتمله: يجاهد في عمله.

(٤٣) يرف: يبرق ويتلألأ.

(٤٤) يسفر: يشرق ويبين ويتوضح، والمدب: موضع دبيب الأقدام. والدروس: ذهاب الآثار وامحاؤها. والعفاء: تراكم التراب الذي يطمس الآثار. استشرى البرق: تتابع لمعانه. الوميض: لمعان البرق

القوس العذراء

في نواحي الغيم. يفصم: ينفصل عنه دون أن ينقطع السبب بينه وبين عمله.

(٤٥) الحشاشة: روح القلب، ورمق حياة النفس.

(٤٦) الصبوة: الحنين الداعي إلى الميل مع الهوى.

(٤٧) الإرث: الأصل الموروث.

(٤٨) السليقة: الطبيعة التي لاتحتاج إلى تعلم. معرق: أصيل، له عروق ممتدة إلى أصوله.

(٤٩) عرض البشر: غمارهم وكثرتهم، بلا تحديد أو تعيين.

(٥٠) صابر: تكلف معها الصبر على عنت ومشقة. نفساً: قليلا ينفس عنه.

(٥١) توجست: تسمعت إلى صوته الخفي على خوف.

(٥٢) بيضة الصيف شدة حره. مجثمه: جثومه في مكمنه لا يتحرك. والقترة: حفرة الصائد يكمن فيها. قليل التلاد: لا مال له موروث. والمهاد: الموضع الذي يمهده لنفسه. شريعة الماء: الموضع الذي ينحدر إلى الماء

(٥٣) الغيل: الشجر الكثير الملتف. نماها: رفعها وسواها وانتسبت إليه

(٥٤) اجتباها: اختارها واصطفاها.

(٥٥) انغل: تغلغل بين شجرها. الحشا: الجوف. العيص: الشجر النابت بعضه في أصول بعض.

(٥٦) أنحى: وجه وسدد. اختلاها: جزها وقطعها.

(٥٧) اللحاء: قشر العود من الشجر.

(٥٨) ذاق القوس: جذب وترها لينظر ماشدتها.

(٥٩) يهمي: يسقط ويسيل.

(٦٠) رداها: جعله لها رداء والبز: الثياب.

(٦١) سفاها: دعاء عليه بخسران نفسه.

(٦٢) ثياب الخال: ثياب رقيقة تصنع ببلدة الخال. العصب: برود كانت تصنع باليمن، يعصب غزلها ويجمع ثم يصبغ فيأتي موشيً لبقاء ماعصب منه أبيض لم يأخذه صبغ. والموشى: المختلط الألوان.

(٦٣) الأديم: الجلد المدبوغ. المقروظ: المدبوغ بالقرظ. أربى: زاد ماله وارتفع على مايستحقه. شراها: باعها.

(٦٤) شاه الوجه: صار قبيحاً مشوهاً تكرهه النفس.

(٦٥) اشتراها: باعها.

(٦٦) تاه: من التيه، وهو العجب والفرح.

(٦٧) استهل المطر: هطل واشتد انصبابه.

(٦٨) احتفل السيل: جاء بملء جنبي الوادي.

(٦٩) ابتزها: غلبها وغصبها وسلبها، والبلابل: وساوس القلب التي تضطرب فيه. الوجل: شدة الخوف.

(٧٠) مثل: انتصب قائماً.

(٧١) ذو الأراكة: موضع ماء. النهل: أول الشرب عند ورد مناهل الماء.

(٧٢) راجفات الحذر: التي ترجف بالقلب، حتى يضطرب اضطرابا شديدا.

(٧٣) لواها: صرف وجوهها عن الشرب.

(٧٤) الخصاصة: الجوع والفقر والحاجة وسوء الحال. والبئيس: الفقير البائس الشديد البؤس.

(٧٥) مستنهضات الفرار: التي تنهض به داعية الفرار.

(٧٦) فاقعة: خالصة اللون مشرقة.

(٧٧) الحائمات: التي تحوم الماء عطاشاً. الحتف: الهلاك. أظل: دنا وقرب، وألقى على الشيء ظله.

(٧٨) المنسدل: الطويل المسترخي المرسل.

(٧٩) عضل: داهية منكر شديد الغلبة.

(٨٠) صلى: دعا وعظم الله وقدسه. هل: فرح وصاح.

(٨١) الكن: المكان الذي يسترها ويحجبها عن العيون.

(٨٢) مهدلة: مرخاة متدلية. الأسل: نبات دقيق القضبان طويل شديد الاستواء.

(٨٣) يبيس: يابس. ذو شوكة: ذو شوك. أشرطها نفسه: أعد لها نفسه، إما أن ينالها أو يهلك، غير مبال.

(٨٤) انغل: تغلغل. المختبل: الذاهب العقل.

(٨٥) يحت اليبيس: يستأصل اليابس ويرميه. ويردي: يسقط الرطب. ويغمض: يوغل.

(٨٦) حيهل: كلمة تقال للحث والاستعجال.

(٨٧) أنحى: وجه ناحيتها. اللسان الحديد: هو المبراة الحادة القاطعة. خصيم: شديد الخصومة. جدل: شديد اللدد في الخصومة.

(٨٨) شريس: شديد الشراسة. عتى: طال تمرده وكبره. قديم الأجل: متقادم العمر.

(٨٩) الجذل: الفرح الذي يهز الأعطاف.

(٩٠) تسترق: تسرق خلسة مرة بعد مرة.

(٩١) المقتبل: الذي سوف يستقبله.

(٩٢) الخلة: الصداقة التي تتخلل النفس.

(٩٣) اللحاء: قشر العود من الشجر. الخضل: الناعم الرطب الندي.

(٩٤) البذاذة: رثاثة الهيئة وسوء الحال.

(٩٥) لهيف: شديد التلهف والأسى مخافة أن تتلف وقد أشرف على صنعها.

(٩٦) تمحص: سقط عنها فخلصت منه واشتدت. أملودها: قوامها اللدن الناعم.

(٩٧) النشوز: العصيان وترك الطاعة.

(٩٨) الثقاف: حديدة في طرفها خرق يتسع للقوس، ليقوم عوجها، الممتثل: المحتذي بالأمر الذي يؤمر به.

(٩٩) انجفل: ارتاع فارتد مسرعاً.

(١٠٠) الطريدة: قصبة مجوفة بقدر ما يلزم القوس، فيها سفن خشن، والسفن (بفتحتين) هو ما يسمى (السنفرة).

(١٠١) محل: شديد المكر والقوة.

(١٠٢) ريا: ناعمة يبرق فيها ماء الصفاء.

(١٠٣) ضغنها: عسرها والتواؤها وصعوبة انقيادها.

(١٠٤) الحصان: الحرة الممتنعة التي تعف عن الريبة.
(١٠٥) جهل: استزله الشيطان واستخفه.
(١٠٦) العمل: الذي يحسن العمل والحركة فيما يعمل.
(١٠٧) أذؤب: (جمع ذئب).
(١٠٨) على أربع: أي على أربع طاقات. وهو أكرم للوتر وأقوى.
(١٠٩) حنت: رجعت صوتها ترجيع المشتاق أو الباكي. المضل: الذي قد ضل عنه أحبابه أو فارقوه، فهو ينشدهم.
(١١٠) كفلها: جعلها تكفله وتضمه إليها كالأم. الصغير من بني أمها: أخوها السهم.
(١١١) أنبض القوس: جذب وترها ثم أرسله: فيسمع له صوت كالبكاء.
(١١٢) أرنت: صاحت صياح النائحة الحزينة.
(١١٣) يفجعها: ينزل بها الفجيعة بعد الفجيعة.
(١١٤) أعرض الظبي: أمكن الرامي من عرضه، أي جانبه.
(١١٥) قفاد: تبعه وجاء بعده، اضمحل: سقط وانقشع.
(١١٦) تناسمه: تهدي إليه نسيمها، والشذا: الرائحة الطيبة.
(١١٧) ساهرها: بات معها ساهراً. يزدهيه: يستخف لبه العرف: الرائحة الطيبة يعرف بها صاحبها.
(١١٨) العيبة: وعاء من أدم تحفظ فيه الثياب. الخمل: هدب القطيفة وزئبرها.
(١١٩) قرير: قد أخذته قرة البرد، وهو أشده، والسمل: الثوب الخلق الدريس البالي.
(١٢٠) ثمل: أخذ فيه الشراب والسكر.
(١٢١) أمنة: أمان من الخوف. غواشي الوجل: ما يغشاه من المخاوف.
(١٢٢) الوهاد: الأرض المنخفضة. النجاد: الأرض المرتفعة. القلل (جمع قلة): وهو رأس الجبل.
(١٢٣) الصل: حية تقتل إذا نهشت من ساعتها، لا تنفع فيها الرقية.
(١٢٤) البائدات الأول: طسم وجديس وجرهم، وما باد من العرب العاربة.
(١٢٥) الدمدمة: صوت مزعج يرجف على الناس ويطبق.
(١٢٦) ساع يقر: بينا هو يسعى هنا وهناك، إذ ثبت مكانه. أفل: غاب وهوى.
(١٢٧) الصديق، والخل: يقال للمذكر والمؤنث جميعا. والخلالة: الصداقة التي تتخلل النفوس.
(١٢٨) تستهل: ترفع الصوت إهلالا بالحج، وتلبية لله سبحانه.
(١٢٩) المهل: الاستنظار والتؤدة.
(١٣٠) ظماء القطا: القطا الوارد الماء. محتفل: فيه محافل الناس ومجامعهم
(١٣١) جافلة: مذعورة تكاد ترتد. جذوة النار: الجمرة الملتهبة.
(١٣٢) الكاسر: الذي ضم جناحين وانقض: تقاذف: هوى على عجل. شعفات الجبل: رؤوسه وقممه.
(١٣٣) تؤج: تتلهب، ويسمع لتلهبها صوت، وهو أجيج النار.
(١٣٤) المختتل: المخادع الذي يطلب غفلة الصيد.
(١٣٥) تنكب القوس: وضعها على منكبه.
(١٣٦) المئآد: المعوج. اعتمل: جاهد في عملها.
(١٣٧) ماكرة: كلمة مكر.
(١٣٨) المحال: الكيد والمكر الشديد الخفي. ذليق اللسان: فصيح اللسان طليقه.
(١٣٩) راز الشيء: وضعه في كفه ليعرف ثقله وامتحنه، ومعاطف القوس: مقدار انعطافها إذا حناها وشد وترها.
(١٤٠) الهبل: ثكل الولد.
(١٤١) خالسها: نظر إليها خلسة. خفضت: سكنت. الغوارب: أعالي الموج. الجاش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع. الوهل: الفزع الملحق بالجنون.
(١٤٢) التلاد: المال الموروث الذي ولد عندك. الجلل: الجليل العظيم القدر.
(١٤٣) تشتريها: تبيعها.
(١٤٤) البخل (بفتحتين)، هو البخل.
(١٤٥) باسمها: نظر إليها نظرة سخر مبتسم.
(١٤٦) نضحت: فضت مكرها كالعرق، دع عنك: احذر، تغتفل: تؤخذ من غفلتك.
(١٤٧) الشرعبي: ثياب جياد سابغة. السيراء: برد فيه سيور يخالطها الحرير.
(١٤٨) التجار (جمع تاجر).
(١٤٩) جلاها: صقلها. الهرقلي: الرومي، نسبة إلى هرقل الملك.
(١٥٠) خال: مكان تضع فيه البرود الجيدة.
(١٥١) الغدير: مكان يغادر السيل فيه بعض الماء. والوشل: الماء يتحلب من جبل أو صخرة، يقطر قليلا قليلا، لا يتصل قطره.
(١٥٢) الأديم: الجلد المدبوغ اللين. الخصل (جمع خصلة): وهي لفيفة من الشعر المجتمع.
(١٥٣) غمغمة: الكلام الذي لا يتبينه السامع، والنغية: كلمة ذات نغمة. الزاري: العائب المظهر للاحتقار.
(١٥٤) الإسار: الأسر. والسوام: المساومة في البيع. والشراك (جمع شرك): وهو حبالة الصائد يرتبك فيها الصيد. احتبل: وقع في حبالة الصائد.
(١٥٥) السورة المنزلة الرفيعة المشرفة الظاهرة. خلجات الخبل: مايتجاذب المخبول من الاضطراب، فتتفكك أوصاله، ويتمايل يمنة ويسرة.
(١٥٦) القلات (جمع قلت، بسكون اللام): نقرة في الجبل يقطر فيها ماء واشل من سقف أو كهف، وهو أصفى ماء. والعرنين: الأنف تحت مجتمع الحاجبين، حيث يكون الشمم، وهو دليل على كرم الأصل.
(١٥٧) الزاكي: النابت في نعمة وخصب وكرم، والسراء: المروءة والسخاء والشرف.
(١٥٨) كاده بعقله: احتال عليه وغلب عقله. المحل: الشديد المكر والدهاء.
(١٥٩) ويك: مثل، ويلك، تعجب وتهديد، السفاه: السفه والطيش. الخدين: الصديق المصاحب. والخل: الصديق المتداخل المودة.
(١٦٠) النكر: الدهاء المنكر الخبيث: اهتبل الفرصة: اغتنمها وافترصها على غفلة.
(١٦١) السفل (جمع سفلة): وهُم أراذل الناس وسقاطهم.
(١٦٢) حباه: أعطاه فأكرمه. فاطر النيرات: المبتدئ خلق الكواكب

القوس العذراء

المنيرة. وباري النبات: خالقه.

(١٦٣) الهون: الهوان والخزي. والقل: القلة والنقص.

(١٦٤) أجش: فيه جشة أي: غلظ وبحة. صل الصوت: إذا خالطته حدة كأنها صوت حديد على الصفا. اختبل: أخذه الخبل، كالمجنون المضطرب.

(١٦٥) أشفى: أشرف. يستقل: ينهض.

(١٦٦) وعوعة: صوت مختلط كوعوعة الكلاب، والزجل: الجلبة كأصوات اللاعبين.

(١٦٧) يؤج:يصوت بكلام مرتفع سريع. ويعج: يصيح صياحاً عالياً كالهدير. ويخور: يصيح بصوت غليظ كخوار الثور. وصهل: أخرج صوتاً مبحوحاً كصهيل الخيل.

(١٦٨) الحشرجة: غرغرة الميت، وتردد نفسه.

(١٦٩) الحميم: الماء الحار. تستهل: تنصب.

(١٧٠) لاعج: محرق. الخبل: اضطراب الجنون.

(١٧١) هيص: انكسر وتدلى. واعتقل: حبس ومنع الكلام.

(١٧٢) تخاذل: تتخاذل، يخذل بعضها بعضاً.

(١٧٣) السوام: المساومة في البيع، والأروم: أصل الشجرة إذا ماتت وسقطت أغصانها. مثل: انتصب.

(١٧٤) صلود: صلب أملس. عتل: غليظ ثقيل ثابت.

(١٧٥) الدبى: الجراد قبل أن يطير، تنزى: تثب وتنقز. دهاه: غشيه وأصابه، والطل: المطر الخفيف.

(١٧٦) كركر الضاحك: ردد الضحك.

(١٧٧) السمت: الهيئة.

(١٧٨) هينمة: الكلام الخفي كالدندنة. غمغمت: اختلطت ولم تتبين.

(١٧٩) الوغى: الصوت المتداخل كأصوات النحل المجتمع. يصل: يكون له صوت كأصوات أجواف الخيل إذا عطشت.

(١٨٠) أسفر: أشرق. انجاب: انكشف. المخبت: الخاشع المتضائل.

(١٨١) سبتة: سكون وإطراق بلا حراك.

(١٨٢) الوقيذ: المريض الدنف المشفي على الهلاك.

(١٨٣) هام محلقة: رؤوس محلوقة. رجف (جمع راجف): ترتجف وتضطرب. نزيع البصل: المنزوع بجذوره.

(١٨٤) أغربة (جمع غراب).

(١٨٥) الحيازيم (جمع حيزوم): وهو ما اكتنف الحلقوم والقلل: الرؤوس، والحية تفعل ذلك وهي تتشمس.

(١٨٦) أزفلة: الجماعة تأتي مسرعة. والضباع: من لئام الحيوان. تخمع: تعرج. همل: مهملة ملقاة.

(١٨٧) الضباب تخرج من جحورها إذا دهمها السيل.

(١٨٨) الأعطاف (جمع عطف): وهو الجانب، من الرأس إلى الورك.

(١٨٩) الكبل: القيد الضخم الثقيل. والغل: القيد الذي يجمع الأيدي إلى الأعناق.

(١٩٠) الناشط: الجاذب الدلو من البئر. والرشاء: حبل الدلو الطويل.

(١٩١) ملجلجة: مترددة ثقيلة لاتكاد تخرج أو تدخل: هلل: فزع وفرق ونكوص.

(١٩٢) ركين: عالي الأركان ثقيل.

(١٩٣) لأيا بلأي: بعد مشقة وجهد وإبطاء واحتباس.

(١٩٤) خامره: غشي نفسه. أبل: برأ من مرضه وأفاق.

(١٩٥) تزهر: تتلألأ. تأتكل: تتوهج كالنار إذا اشتد لهبها، وأكل بعضها بعضا.

(١٩٦) انتحى: اعتزل ناحية.

(١٩٧) الغلل (جمع غلة): وهي حرارة الحزن.

(١٩٨) المضمرات: البعيدة التي يخفى مكانها، والغيوب (جمع غيب): هو الأرض المطمئنة، التي يغيب فيها سالكها، والبلابل: قلقات الهموم. والسجل: الكتاب أوالصك الذي يطوى. نوافذ: ماضيات، كالسهام تنفذ في النفس . تفتضل: تترامى وتختصم.

(١٩٩) تدجى: لبسه الظلام.

(٢٠٠) الآية: العلامة العجيبة، وهي يده. نصل: طفيء لونها وذهب.

(٢٠١) أسرار الكف: خطوطها التي تدل على المغيب من أسرارها.

(٢٠٢) السحق: البالي المنسحق. تهتك: تخرق وتساقط. الأديم: الجلد المدبوغ. النغل: الذي فسد دباغه فتفتت وترفت.

(٢٠٣) السنا: الضوء العالي.

(٢٠٤) بهيم: مظلم لا ضوء فيه، ولا منفذ لبصر.

(٢٠٥) تلاوذ: تدور كأنها تطلب ماتلوذ به. اللغز: الطريق الملتوي المشكل يضل سالكه. الداجي: الساتر الذي يلبس ما فيه ويستره. والدغل: الشجر الملتف المشتبك النبت. أسودة (جمع سواد): وهو شخص الشيء، لأنه يرى من بعيد أسود. خطفت: تسرع كالشعاع الخاطف.

(٢٠٦) هدل: غنى غناء الحمام.

(٢٠٧) السدف: (جمع سدفة): ظلمة مختلطة بضوء يشوبها. الضال: السدر ينبت في السهول. تسوى من قضبانه السهام.

(٢٠٨) الكلل (جمع كلة): وهي الستر الرقيق، كالذي تكون فيه العروس.

(٢٠٩) المستوفز: هو القاعد إذا استقل على رجليه يتهيأ للقيام، ولما يستو قائما بعد.

(٢١٠) استهل: رفع صوته بالإهلال والتلبية لله سبحانه.